الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب

كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية

قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La Recherche Scientifique

Belhadj Bouchaib - Université Ain T'émouchent

Faculté des Lettres, Langues et Sciences Social

Département Lettre et Langues arabe

رقم المذكرة: ..../2026

مذكرة مقدمة لاستكمال المتطلبات لنيل شهادة الماستر

الميدان: اللغة والأدب العربي

الشعبة: دراسات نقدية

التخصص: نقد حديث و معاصر

عنوان المذكرة

دراسة في كتـــاب "علـــم اجتـــــمـــــاع الأدب"

- لسيـــــــــد البحـــــــــراوي -

إعداد الطالبة:

أمينة قرقابو

إشراف:

أ.د/ جلال مصطفاوي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
عيسى بخيتي	الأستاذ الدكتور	جامعة بلحاج بوشعيب-عين تموشنت	**رئيسا**
جلال مصطفاوي	الأستاذ الدكتور	جامعة بلحاج بوشعيب-عين تموشنت	**مشرفا، ومقررا**
شيخ هامل	الأستاذ الدكتور	جامعة بلحاج بوشعيب-عين تموشنت	**ممتحنا**

السنة الجامعية: 1446هـ-1447هـ/ 2026-2025

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La Recherche Scientifique		وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Université Belhadj Bouchaib - Ain Témouchent		جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب
Faculté des Lettres, Langues et Sciences Social		كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية
Departement Lettre et Langues arab		قسم اللغة والأدب العربي

الترخيص بإيداع مذكرة الماستر

قسم اللغة و الأدب العربي

أنا الممضي أسفله الأستاذ(ة) المشرف(ة): مصطفاوي جلال

على مذكرة التخرج في الماستر؛ الموسومة: دراسة في كتاب "علم اجتماع الأدب" لسيد البحراوي

من إنجاز الطالب(ة): قرقابو أمينة

الميدان: اللغة والأدب العربي

الشعبة: دراسات نقدية

التخصص: نقد حديث ومعاصر

بعنوان السنة الجامعية: 2026/2025

أشهد أنّ الطالب(ة) قد قام(ت) برفع كل التحفظات المطلوبة من طرف لجنة المناقشة، وبإمكانه(ها) إيداع النسخة الإلكترونية المصححة على مستوى المستودع الرقمي لجامعة عين تموشنت-بلحاج بوشعيب-

إمضاء المشرف

الدكتور جلال مصطفاوي
أستاذ محاضر بالمركز الجامعي
بلحاج بوشعيب

تأشيرة رئيس القسم

قسم اللغة و الأدب العربي

إمضاء رئيس اللجنة

د. بخيتي عيسى

حرر بعين تموشنت: 2026/06/23م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La Recherche Scientifique		وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Université Belhadj Bouchaib - Ain Témouchent		جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب
Faculté des Lettres, Langues et Sciences Social		كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية
Departement Lettre et Langues arab		قسم اللغة والأدب العربي

التصريح الشرفي

الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لانجاز بحث

(ملحق القرار الوزاري رقم 1082 المؤرخ 27 ديسمبر 2020 الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها)

أنا الممضي أسفله،

اسم ولقب الطالب(ة)	التخصص	رقم بطاقة التعريف الوطنية	تاريخ الاصدار
قرقابو أمينة	نقد حديث ومعاصر	119819723	2021/02/19

المسجل (ة) بكلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية

قسم اللغة والأدب العربي، الشعبة: دراسات نقدية، التخصص: نقد حديث ومعاصر.

والمكلف (ة) بإنجاز مذكرة ماستر، عنوانها:

دراسة في كتاب علم اجتماع الأدب لسيد البحراوي

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور أعلاه.

عين تموشنت في: 2026/5/25

توقيع المعني (ة)

الأمر لتصديق الإمضاء
26 MAI 2026

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

{سورة المجادلة 11 - }

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيم •

شكر و عرفان

لقوله تعالى :" **لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** "الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا العمل، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صل الله عليه وسلم.

أتقدم بالشكر والامتنان للأستاذ المشرف الدكتور " جلال مصطفاوي " على ما بذله من جهد في متابعة هذا العمل وتقويمه، فقد كان خير موجه وناصح و لم يبخل عليَّ بالملاحظات والإرشادات.

وفي هذا الصدّد، لا يفُوتني أن أتقدم بجزيل الشُكر إلى عائلتي الكريمة، على دعمها المتواصل وتشجُيعها الدائم، فقد كانوا خير سند لي خلال هذه المرحلة.

إهداء :

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى من كانا سندي ودعمي في كل مراحل حياتي، إلى من قال

فيهما ربي : **{وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}**

أبي وأمي حفظهما الله وأدامهما نعمة فوق رأسي.

قرقابو أمينة

مقدمة

مقدمة:

يُعدّ النقد الأدبي من الحقول المعرفية التي شهدت تطورا ملحوظا عبر العصور، حيث مرّ بعدة مراحل وتحولات تاريخية شملت طرق قراءة النص الأدبي وتحليله وتفسيره، وذلك تبعا لتغيّر واختلاف المناهج النقدية والمرجعيات الفكرية السائدة في كل مرحلة. ففي مراحله الأولى ارتبط النقد الأدبي بسلطة المؤلف، حيث كان اهتمام النقاد منصبا على حياة الأديب وظروفه النفسية والاجتماعية، وعُدّ النص الأدبي انعكاسا مباشرا لتجربته الذاتية وتعبيرا عن أفكاره ومشاعره الخاصة، لذلك اتجهت دراسات النقاد إلى تتبع سيرة الكاتب وربط إنتاجه الأدبي بشخصيته ومحيطه الاجتماعي.

بعد ذلك، ومع تطور الدراسات اللسانية، ظهرت البنيوية التي أحدثت نقلة نوعية في النقد الأدبي، حيث جعلت النص الأدبي محور التحليل والدراسة، واهتمت بالكشف عن بنيته الداخلية والعلاقات القائمة بين عناصره، بعيدا عن المؤلف والقارئ والسياقات الخارجية، فركزت على تحليل الشكل والبنية والأنساق اللغوية التي يقوم عليها النص الأدبي.

غير أن حصر الدراسة النقدية في البنية الداخلية للنص أثار العديد من التساؤلات، مما أدى إلى ظهور اتجاهات نقدية جديدة من أبرزها نظرية التلقي، التي منحت القارئ مكانة محورية في العملية الإبداعية، حيث لم يعد النص يحمل دلالة ثابتة ونهائية، بل أصبح معناه يتشكل من خلال تفاعل القارئ معه وطريقة تأويله له، وهو ما منح المتلقي دورا أساسيا في إنتاج الدلالة وفهم النص الأدبي.

غير أن التركيز على المؤلف تارة، وعلى النص تارة أخرى، ثم على القارئ، لم يكن كافيا لتفسير الظاهرة الأدبية في مختلف أبعادها، الأمر الذي دفع العديد من النقاد إلى البحث عن مقاربات نقدية جديدة تعيد ربط الأدب بسياقه الاجتماعي والثقافي. فبرزت المناهج الاجتماعية بوصفها اتجاها نقديا يهتم بدراسة العلاقة بين الأدب والمجتمع، ويُعدّ علم اجتماع الأدب من أبرز

هذه المناهج، إذ سعى إلى الكشف عن الأبعاد الاجتماعية والفكرية التي يعكسها الـــنص الأدبي، انطلاقا من النظر إلى الأدب بوصفه ظاهرة اجتماعية تتأثر بالواقع وتؤثر فيه.

ومن بين الدراسات العربية التي اهتمت بهذا المجال كتاب **"علم اجتماع الأدب"** لـــــ **الدكتور سيد البحراوي**، والذي يُعدّ من الأعمال النقدية المهمة في النقد العربي المعاصر، حيث عرض فيه المؤلف مفهوم علم اجتماع الأدب ونشأته وأبرز اتجاهاته النقدية، كما ناقش مجموعة من القضايا المرتبطة بالعلاقة بين النص الأدبي والبنية الاجتماعية، ساعيا إلى تقديم تصور نقدي يجمع بين البعد الجمالي والبعد الاجتماعي للأدب...وبناء على ما سبق فقد وقع اختياري على دراسة كتاب من أهم مؤلفات سيد بحراوي، وهو علم اجتماع الأدب، والذي إن كان صغير الحجم إلا أن مضامينه كبيرة وعميقة، ليكون عنوان بحثي هو: **قراءة في كتاب "علم اجتماع الأدب" لسيد البحراوي**.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يعالج أحد أهم وأبرز الاتجاهات النقدية الحديثة التي أسهمت في توسيع مجال الدراسات الأدبية وربط الأدب بقضايا الواقع الاجتماعي والفكري، كما تبرز قيمة هذا الكتاب في كونه يمثل محاولة عربية جادة لتقديم علم اجتماع الأدب من خلال طرح نظري قائم على عرض المفاهيم والاتجاهات السوسيولوجية المختلفة، الأمر الذي يجعله مرجعا مهما في التعريف بهذا الاتجاه النقدي وإثراء النقاش حوله داخل الساحة النقدية العربية المعاصرة.

أما أسباب اختيار هذا الموضوع فمنها ماهو موضوعي ومنها ما هو ذاتي، فمن الناحية الموضوعية يُعدّ كتاب علم اجتماع الأدب من أبرز الكتب النقدية التي تناولت قضايا فكرية ومنهجية متنوعة في مجال النقد الأدبي الحديث، كما أنه يسهم في توضيح العلاقة القائمة بين الأدب والمجتمع.

أما من الناحية الذاتية فيعود اختيار هذا الموضوع إلى الرغبة الشخصية في دراسة المناهج النقدية الحديثة، خاصة المنهج السوسيولوجي، إضافة إلى الاهتمام بالمباحث التي تربط النص الأدبي بالواقع الاجتماعي، والرغبة في اكتشاف التصور النقدي الذي قدمه سيد البحراوي داخل هذا الكتاب.

وانطلاقا من ذلك يمكن طرح الإشكالية الآتية: إلى أي حدّ استطاع سيد البحراوي في كتابه علم اجتماع الأدب تقديم تصور نقدي يجمع بين البعد الاجتماعي والبنية الفنية للنص الأدبي؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الجزئية، من بينها: ما المقصود بعلم اجتماع الأدب وما هي أهم اتجاهاته النقدية؟ وكيف عرض المؤلف العلاقة بين الأدب والمجتمع؟ وما أبرز القضايا النقدية التي ناقشها الكتاب؟ وما القيمة العلمية والمنهجية التي يحملها هذا العمل النقدي؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا خطة بحث تضمنت مقدمة وفصلين وخاتمة، خُصص الفصل الأول للدراسة الخارجية للكتاب، حيث تناول الوصف المادي للكتاب والتعريف بالمؤلف وبالعنوان، أما الفصل الثاني فخُصص للدراسة الداخلية، حيث تناول عرض مضامين الكتاب وتلخيص فصوله وطرح أهم قضايا وأفكار المؤلف وتقويمها، ثم اختُتم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، لكونه الأنسب لطبيعة الموضوع، حيث مكّننا الجانب الوصفي من وصف مضامين الكتاب والتعريف بأبرز القضايا والأفكار النقدية التي تناولها المؤلف، في حين أتاح لنا الجانب التحليلي تحليل تلك القضايا ومناقشتها والكشف عن أبعادها الفكرية والنقدية.

وعلى الرغم من أن موضوع علم اجتماع الأدب يُعدّ من الموضوعات النقدية الغنية والثرية التي حظيت باهتمام عدد من الباحثين والنقاد، إلا أننا لم نعثر في حدود اطلاعنا على دراسات سابقة تناولت كتاب علم اجتماع الأدب للدكتور سيد البحراوي دراسة مستقلة ومباشرة، في حين وُجدت العديد من الدراسات والمذكرات التي عالجت موضوع علم اجتماع الأدب وتناولت أهم قضاياه ومناهجه المختلفة في النقد العربي الحديث والمعاصر، على سبيل المثال نذكر منها: مذكرة ماستر المعنونة بـــ"تلقي علم اجتماع الأدب عند العرب محمد علي بدوي أنموذجا" للطالبة بوشاكور ليلى 2014/2013م.

ومن أهم المصادر المعتمدة في هذا البحث كتاب علم اجتماع الأدب للدكتور سيد البحراوي، إضافة إلى عدد من المراجع النقدية والفكرية المرتبطة بالمناهج الاجتماعية وقضايا النقد الحديث والمعاصر مثل كتاب سوسيولوجيا الأدب لبول آرون وألان فيالا ترجمة دكتور محمد علي مقلد ومراجعة دكتور حسن طالب 2013م.

و لم يكن إنجاز هذا البحث خاليا من الصعوبات، إذ واجهتنا بعض العراقيل، من بينها كثافة الطرح النظري داخل الكتاب، وتشعب بعض المفاهيم النقدية والسوسيولوجية وتداخلها، إضافة إلى كثرة المصطلحات النقدية المتخصصة التي تطلبت قدرا من التركيز والاطلاع لفهمها والإحاطة بها.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف على ما قدمه من توجيهات وإرشادات قيّمة كان لها أثر كبير في إنجاز هذا العمل، كما نتوجه بالشكر إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إتمام هذه الدراسة.

قرقابو أمينة

عين الأربعاء في:2026/05/21م

الفصل الأول :

الدراسة الخارجية للكتاب

دراسة الواجهة الأمامية والخلفية للكتاب:

أولا: وصف الواجهة الأمامية:

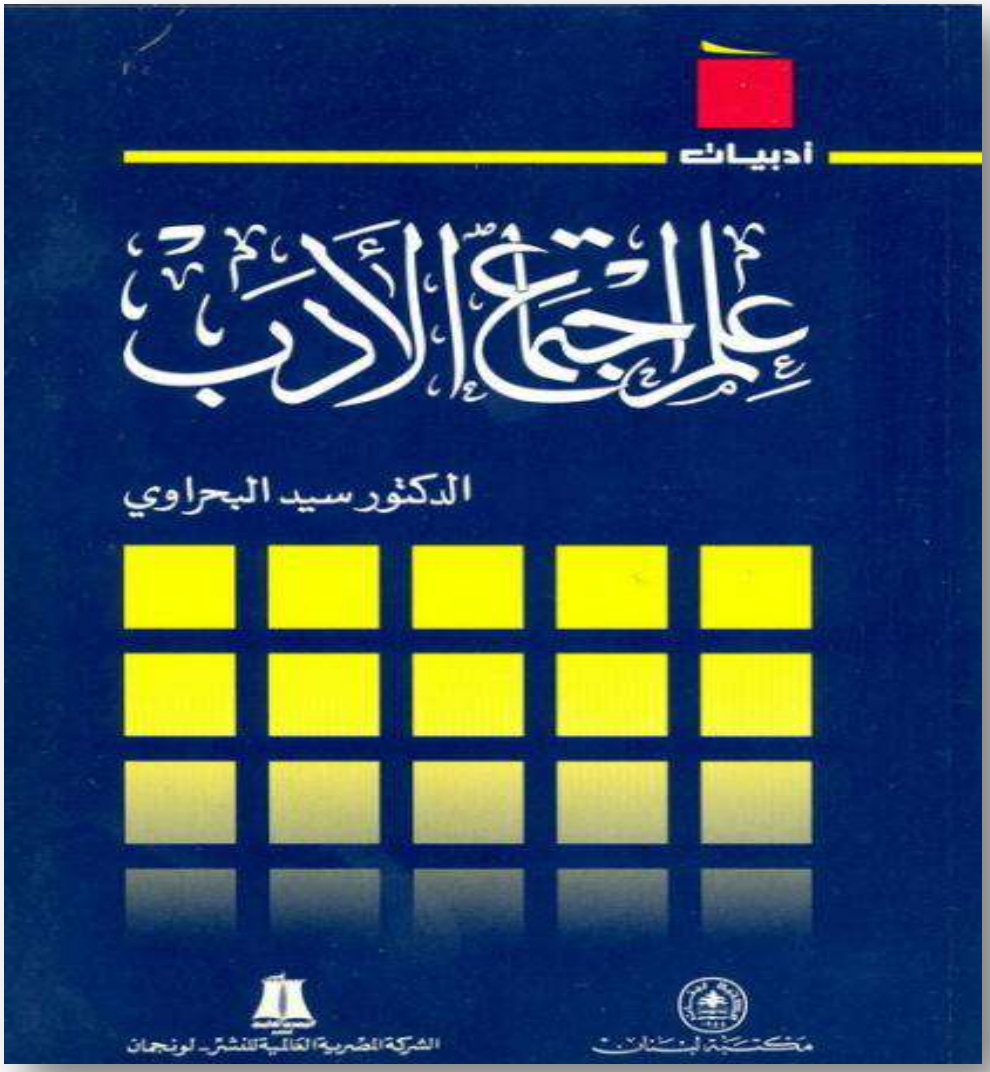

واجهة كتاب علم اجتماع الأدب لسيد البحراوي

تمهيد:

يُعدّ الغلاف الأمامي من العتبات النصّية الأساسية التي تسبق متن الكتاب، إذ يُشكّل فضاءٌ بصريا ودلاليا يُوجّه القارئ إلى طبيعة العمل ومجاله المعرفي. وانطلاقا من ذلك، نسعى في هذا المبحث إلى دراسة الغلاف الأمامي لكتاب "**علم اجتماع الأدب**" للدكتور **سيد البحراوي**، من خلال الوقوف عند مكوّناته النصّية والبصريّة ودلالتها.

تحليل عنوان الكتاب:

جاء عنوان الكتاب **علم اجتماع الأدب** بصيغة تركيبية مباشرة، تجمع بين مصطلحين علميين هما: علم الاجتماع والأدب وهو عنوان ذو طابع معرفي واضح، يُصرّح منذ الوهلة الأولى بالمجال الذي ينتمي إليه الكتاب، ويكشف عن طبيعة المقاربة التي يعتمدها المؤلف، وهي مقاربة تربط الإبداع الأدبي بسياقه الاجتماعي، كما يوحي العنوان بالبعد المنهجي والعلمي للكتاب، مبتعدا عن العناوين الإيحائية أو المجازية، مما ينسجم مع كونه عملا نقديا أكاديميا مُوجّها بالأساس إلى الباحثين والطلبة.

الوصف المادي للكتاب:

يتخذ الكتاب حجما متوسطا، مما يجعله سهل الحمل والاستعمال. كُتب عنوانه بخط بارز وواضح، وهو خط حُر بلمسات تجريدية معاصرة، حيث يبتعد عن القواعد التقليدية الصارمة ليخلق تكوينا بصريا لافتا. يبرز في هذا التصميم أسلوب التداخل والتركيب، حيث تلتف الحروف وتتصاعد فوق بعضها البعض لتشكل كتلة فنية واحدة، وهو أسلوب مستوحى من مرونة خط الثلث في التشابك، مع استعارة حدة الزوايا والاستقامة من الخط الكوفي .هذا المزيج بين الأصالة والحداثة يعكس طبيعة المحتوى الفكري للكتاب، ويمنح العنوان هيبة بصرية تجذب القارئ وتوحي بعمق الموضوع السوسيولوجي المطروح. بينما جاء متن الكتاب بخط منظم يسهل قراءته، مع توزيع منطقي للصفحات يراعي تسلسل الأفكار والموضوعات المطروحة. كما طُبع على ورق

أبيض خشن منح الكتاب مظهرا أكاديميا بسيطا. يقع الكتاب في حوالي 67 صفحة، وهو عدد يعكس طبيعة مضمونه العلمي، ويكفي لتقديم محتوى علمي شامل دون اختصار مخّل أو إطالة غير ضرورية، مما يجعله مناسبا للاستخدام الأكاديمي والبحثي.

اسم المؤلف:

ورد اسم المؤلف **الدكتور سيد البحراوي** في الغلاف الأمامي بخط واضح وأقل حجما من العنوان، وهو ما يعكس توازنا بين مركزية العنوان من جهة، وحضور المؤلف بوصفه سلطة علمية في المجال النقدي من جهة أخرى. كما أن ذكر اللقب العلمي يعزّز البعد الأكاديمي للكتاب ويمنح القارئ ثقة أولية في محتواه.

العناصر البصرية والألوان:

اعتمد الغلاف الأمامي على اللون الأزرق الدّاكن بوصفه لونا أساسا، وهو لون يرتبط عادة بالعمق والجدية والمعرفة، مما ينسجم مع طبيعة الكتاب العلمية.

كما تظهر في وسط الغلاف مربعات صفراء متدرجة، يمكن تأويلها بوصفها رموزا للتنظيم المنهجي أو لتعدد المستويات والعلاقات التي يدرسها علم اجتماع الأدب بين النص والمجتمع.

كما كُتب في أعلى الغلاف من الجهة اليمنى عنوان "أدبيات"، وهي اسم السلسلة الأدبية التي تضم عدّة مؤلفات ويندرج ضمنها هذا الكتاب، وفوقها مربع أحمر يُمثّل الرمز الخاص بهذه السلسلة.

كما يظهر خط أصفر يمتد من الواجهة الأمامية إلى الواجهة الخلفية، ويتناسق لونه مع المربعات الموجودة في قلب الغلاف الأمامي، مما يمنح الغلاف نوعا من الانسجام البصري والتنظيم الفني.

ويُلاحظ أن الغلاف يخلو من الصور التمثيلية، مكتفيا بعناصر هندسية بسيطة، وهو ما يعزز طابعه الأكاديمي ويبعده عن البعد الزخرفي.

الخطوط والتنسيق:

استُخدمت في الغلاف خطوط عربية واضحة وكلاسيكية، خاصة في كتابة العنوان، مما يسهم في تحقيق الوضوح البصري، ويؤكّد انتماء الكتاب إلى الحقل العلمي والمعرفي. كما يتّسم توزيع العناصر في الغلاف بالبساطة والانسجام دون ازدحام بصري.

الناشر ودلالته:

يظهر في أسفل الغلاف الأمامي اسم كل من **مكتبة لبنان والشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان**، وهو حضور بصري يؤكد الانتماء المؤسسي للكتاب منذ الوهلة الأولى. ولا يقتصر ذكر الناشر على الغلاف الخارجي، بل يتكرّس أيضا في الصفحة الداخلية التي تتضمّن البيانات الببليوغرافية الخاصة بالكتاب، كما يتضح في الشكل الآتي:

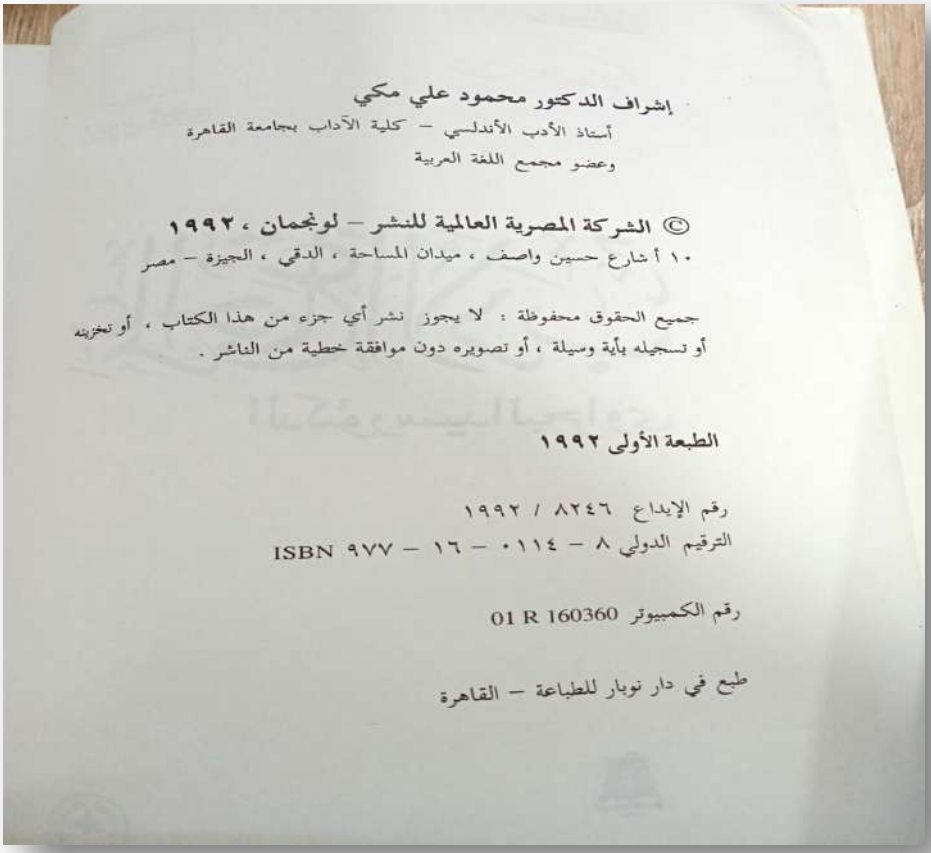

إشراف الدكتور محمود علي مكي
أستاذ الأدب الأندلسي – كلية الآداب بجامعة القاهرة
وعضو مجمع اللغة العربية

© الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، ١٩٩٢
١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي ، الجيزة – مصر

جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه أو تسجيله بأية وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع ٨٢٤٦ / ١٩٩٢
الترقيم الدولي ٨ – ٠١١٤ – ١٦ – ٩٧٧ ISBN

رقم الكمبيوتر 01 R 160360

طبع في دار نوبار للطباعة – القاهرة

وتضم هذه الصفحة معلومات الطبعة الأولى (1992)، ورقم الإيداع، والترقيم الدولي(ISBN)، وبيان حقوق النشر، وهي معطيات توثيقية تعزّز الطابع الأكاديمي للعمل، وتؤكد خضوعه لإطار قانوني ومؤسساتي منظم.

خلاصة الغلاف الأمامي:

ومن خلال ما سبق، يتّضح أن الغلاف الأمامي لكتاب **علم اجتماع الأدب** يشكّل عتبة دلالية واعية، تجمع بين الوضوح المفهومي والبساطة البصرية، وتوجّه القارئ منذ البداية إلى طبيعة العمل النقدية والمنهجية.

ثانيا: وصف الواجهة الخلفية

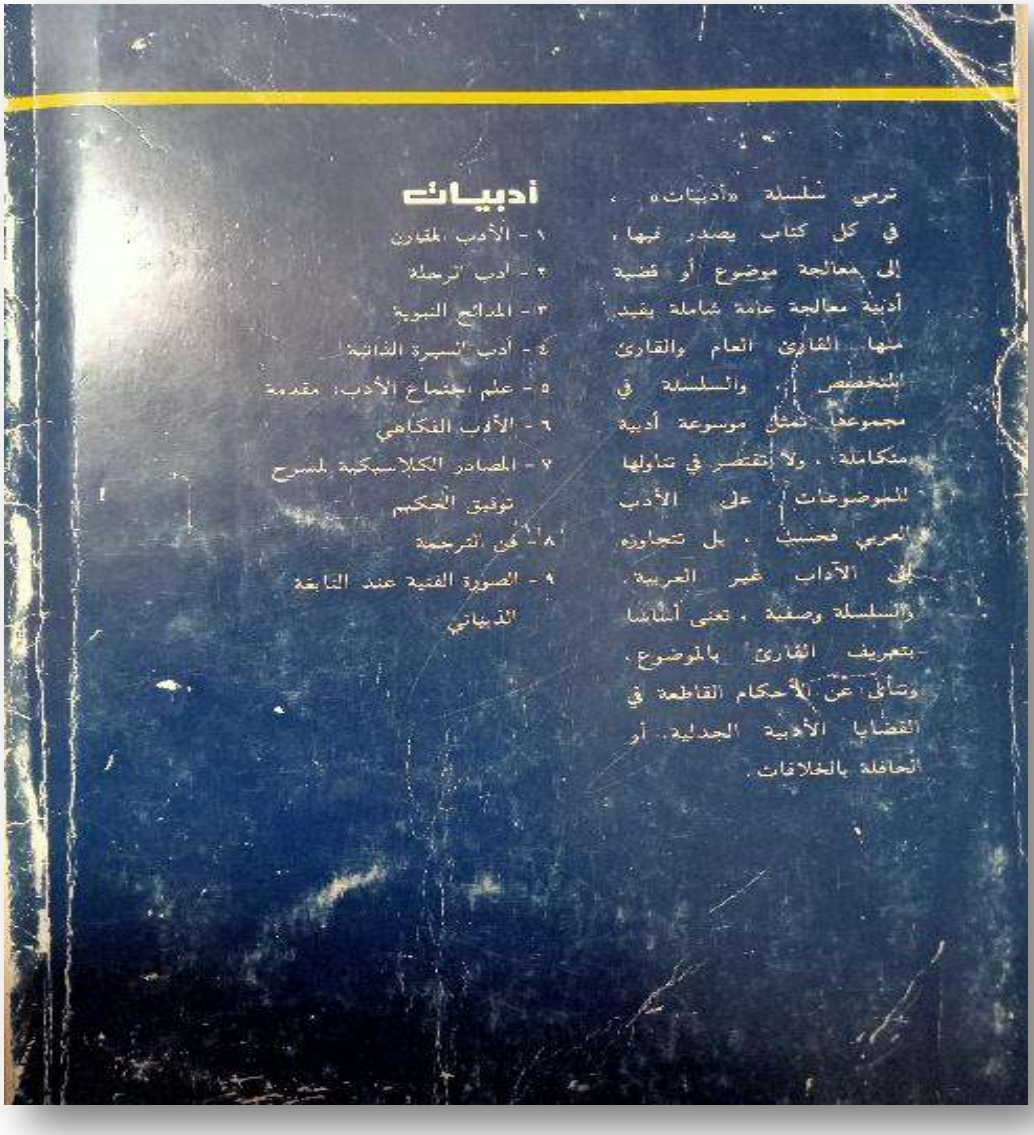

تمهيد:

يُعدّ الغلاف الخلفي امتدادا للغلاف الأمامي، إذ يُقدم للقارئ معطيات إضافية تسهم في توضيح مضمون الكتاب وتحديد أفق تلقيه.

مضمون الغلاف الخلفي:

يضمّ الغلاف الخلفي نصا تعريفيا بسلسلة **أدبيات** التي يندرج ضمنها الكتاب، حيث جاء فيه " ترمي سلسلة "أدبيات"، في كل كتاب يصدر فيها، إلى معالجة موضوع أو قضية أدبية معالجة

عامة شاملة يفيد منها القارئ العام والقارئ المتخصص. والسلسلة في مجموعها تمثل موسوعة أدبية متكاملة، ولا تقتصر في تناولها للموضوعات على الأدب العربي فحسب، بل تتجاوزه إلى الآداب غير العربية. والسلسلة وصفية، تعنى أساسا بتعريف القارئ بالموضوع، وتنأى عن الأحكام القاطعة في القضايا الأدبية الجدلية أو الحافلة بالخلافات". مما يبرز الطابع المعرفي والتوجّه الوصفي الذي تقوم عليه هذه السلسلة.

كما تضمّن الغلاف الخلفي قائمة ببعض العناوين والمؤلفات الأخرى الصادرة ضمن هذه السلسلة، وهي:

-الأدب المقارن

-أدب الرحلة

-المدائح النبوية

- أدب السيرة الذاتية

-علم اجتماع الأدب(مقدمة)

-الأدب الفكاهي

-المصادر الكلاسيكية لمسرح توفيق الحكيم

-فن الترجمة

-الصورة الفنية عند النابغة الذبياني

وتكشف هذه القائمة عن تنوّع الموضوعات التي تعالجها السلسلة، كما تضع كتاب **علم اجتماع الأدب** ضمن مشروع نقدي ومعرفي متكامل، لا باعتباره عملا منفردا.

الدلالات العامة للغلاف الخلفي:

يدلّ الغلاف الخلفي على أن الكتاب موجّه بالأساس إلى قارئ باحث أو طالب، ويؤكّد طابعه التمهيدي والمنهجي، كما يبرز انتمائه إلى سياق ثقافي ونقدي أوسع يهتم بالدراسات الأدبية الحديثة.

خلاصة الغلاف الخلفي:

يمكن القول إن الغلاف الخلفي يكمّل وظيفة الغلاف الأمامي، من خلال تقديم معطيات تفسيرية وتوجيهية تساعد القارئ على إدراك موقع الكتاب ضمن الحقل النقدي وسياقه المعرفي.

دراسة عنوان الكتاب:

لتوضيح أبعاد هذا العنوان، ينبغي الوقوف عند تعريف كل من المصطلحين على حدة، ثم بيان طبيعة العلاقة بينهما.

أولا: تعريف علم الاجتماع:

تُعد محاولة الإحاطة بتعريف جامع لعلم الاجتماع واحدة من أكثر المهام تعقيدا في الحقل الأكاديمي، ليس لنقص في التحديد، بل لغزارة المداخل المعرفية التي تشكل هذا العلم وتعدد الرؤى التي ينطلق منها الباحثون في توصيف الظاهرة الاجتماعية.

إن علم الاجتماع، في جوهره، يمثل السعي البشري المنظم لفهم الروابط التي تحول الأفراد من كائنات بيولوجية معزولة إلى وحدات اجتماعية فاعلة ضمن بناءات مركبة، وفي هذا السياق يعرّفه **توم بوتومور** بأنه: "**علم دراسة الحاضر، ونشأ نتيجة الحاجة الماسة لوجود علم يهتم بدراسة الحياة العصرية ونوعية البناءات والنظم المتغيرة التي ظهرت في هذه الحياة**"،[1] ومن هذا المنطلق

[1] حنان دريسي، محاضرات في مقياس المدخل إلى علم الاجتماع، مطبوعة بيداغوجية، جامعة الجزائر3، كلية العلوم السياسية و العلاقات الدولية، 2020-2021م، ص18.

نرى أن هذا العلم ليس مجرد ترف فكري، بل هو ضرورة حيوية للمجتمع، يستمدها من ضرورة وجود الحياة الاجتماعية اللازمة لأي بقاء بشري على الأرض.

تُعدّ **السوسيولوجيا** وسيلة تساعدنا على فهم ما يجري حولنا في المجتمع، سواء في العلاقات اليومية بين الأفراد أو في التغيرات التي تطرأ على المجتمعات. لذلك تهتمّ الدراسات في هذا المجال بجمع مختلف التعريفات التي قدّمها الباحثون لهذا العلم في الكتب والمراجع، من أجل الوصول إلى فهم أوضح وأبسط لطبيعته وأهدافه.

الجذور اللغوية والاشتقاقية لمفهوم السوسيولوجيا:

لا يمكن الولوج إلى عمق التعريف الاصطلاحي دون فهم البنية اللغوية التي تشكلّ منها هذا المصطلح. يعود الفضل في صياغة مصطلح علم الاجتماع (Sociologie) إلى الفيلسوف الفرنسي **أوجست كونت** في عام 1830م، يتكون هذا المصطلح من دمج لغتين مختلفتين، وهو ما يعكس الطموح الكوني لهذا العلم في بداياته. فالمقطع الأول (Socius) مستمد من اللاتينية ويعني الرفيق، الشريك، أو المجتمع، بينما المقطع الثاني (Logia) مستمد من اليونانية ويعني العلم، الدراسة، أو الخطاب المنطقي.[1]

إن هذا التزاوج اللغوي بين اللاتينية واليونانية يعبر عن الرغبة في تأسيس علم يجمع بين البعد التاريخي والدقّة المنهجية، وإذا عدنا إلى المعاجم العربية، نجد أنها بدورها حاولت توضيح هذا المفهوم وبيان معناه في السياق اللغوي والعلمي. فقد عرّف "**معجم المعاني الجامع**" علم الاجتماع بأنه العلم الذي يبحث في نشوء الجماعات الإنسانية ونموها وطبيعتها وقوانينها ونظمها،[2] كما يشير "**معجم علم الاجتماع**" لعدنان أبو مصلح إلى أنه العلم الذي يدرس المجتمع بهدف التعرف

[1] هشام يعقوب مرزيق، المدخل إلى علم الاجتماع، الإسكندرية، دار الزاية للنشر والتوزيع، ط1، 2007م، ص20.

[2] معجم المعاني الجامع، مادة "علم الاجتماع"، متاح على: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/علم-الاجتماع/ تاريخ الاطلاع: (2026/02/12).

على القوانين التي تحكم نظامه وتغيره ومشكلاته.[1] وفي حين ركزت التعاريف الحديثة على الجوانب المنهجية والقوانين العامة للمجتمع، ارتبط علم الاجتماع العربي **بابن خلدون** الذي أسس **علم العمران البشري** (علم الاجتماع) وحدّد موضوع لهذا العلم وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني وهو ما يُعرض للبشر في اجتماعهم من "**الملك والكسب والعلوم والصنائع**"، [2]حيث حاول فهم نشوء الجماعات الإنسانية، وتطورها، والعلاقات الاجتماعية التي تنظمها، والقوانين التي تحكم سلوكها، كما يتبين ذلك جليا في كتابه (**المقدمة**). ويعتبر هذا التوجه بمثابة التمهيد الفكري الأول لعلم الاجتماع، إذ ركّز على العلاقة بين الفرد والمجتمع، وأوضح أن فهم الظواهر الاجتماعية يتطلب دراسة البنى والعلاقات التي تشكل المجتمع ككل.

غير أن معرفة الجذور اللغوية والتاريخية للمفهوم وحدها لا تكفي لتحديد طبيعته العلمية، فالمصطلح تطور لاحقا ليصبح علما مستقلا يدرس الظواهر الاجتماعية بطريقة منهجية ومنظمة، وقد ساهم في هذا التطور عدد من رواد السوسيولوجيا، الذين وضعوا أسس دراسة المجتمع بطريقة علمية دقيقة، مما جعل علم الاجتماع علما له موضوعه ومنهجه الخاص. ومن أبرز هؤلاء الرواد **اميل دوركايم**، الذي عرّف علم الاجتماع على أنه: "**هو دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها**

---

[1] عدنان أبو مصلح، *معجم علم الاجتماع: أول معجم شامل بكل مصطلحات علم الاجتماع المتداولة في العالم وتعريفاتها*، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2006، متاح على :
https://books.google.com/books/about/معجم_علم_الاجتماع.html?id=moI2nQAACAAJ.
تاريخ الاطلاع: (2026/02/12).

[2] عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ت: أبي عبد الرحمان عادل بن سعد، القاهرة، الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع، د.ط، 2006م، ص46.

أشياء"[1] ومعنى ذلك أن الظواهر الاجتماعية لها واقع مستقل عن الأفراد، وتمارس عليهم تأثيرا وإلزاما، ولذلك يجب دراستها كأشياء موضوعية، لا كمجرد أفكار فردية. وهذا ما يجعل دراسة المجتمع علميا ممكنة، لأنها تعتمد على ملاحظة موضوعية للظواهر، مثل القوانين والأعراف والقيم الاجتماعية.

ثانيا: تعريف الأدب:

يُعدّ **الأدب** من المفاهيم التي تعدّدت دلالاتها عبر العصور، وتنوّعت استعمالاتها بحسب السياق الثقافي والفكري. وقد استقرّ استعمال هذا المصطلح على معنيين أساسين: معنى عام ومعنى خاص.

فالمعنى العام يشمل كل ما أنتجه العقل الإنساني في مختلف مجالات المعرفة، سواء تعلّق بالعلوم أو الفنون أو غيرها من ألوان التفكير الإنساني. أما المعنى الخاص، فيقتصر على الكلام الجميل من الشعر أو النثر، الذي يعبّر عن مشاعر الإنسان وأفكاره بأسلوب فني أنيق، ويُحدث في نفس القارئ أو السامع لذّة فنية وتأثيرا وجدانيا. وهذا هو المعنى الذي يعنينا في دراستنا، لأنه يرتبط بالعاطفة والوجدان، بخلاف العلوم التي تخاطب العقل وتعتمد على الحقائق المجردة. ويؤكد الأصل اللغوي لهذا المفهوم ما ورد في **لسان العرب لابن منظور**، حيث ذُكر أن لفظة الأدب تعني الذي يتأدّب به الأديب من الناس: سميّ أدبا لأنه يأدبُ النّاس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس مُدعاةُ ومأدبةُ[2] ويقصد بذلك أن الأدب هو تعليم الناس الصفات المحمودة وترك الصفات القبيحة.

---

[1] اميل دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ت: محمود قاسم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 2011م، ص77.

[2] ينظر، جمال الدين بن مكرم 74هـ، لسان العرب، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، لبنان، بيروت، ط1، 2003م، ص207.

ووردت لفظة الأدب في معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس: "**الأدب أن تجمع الناس إلى طعامك**".[1] نستخلص من خلال هذا القول أن الأدب مأخوذ من كلمة مأدبة، ومأدب وهو تجمع الناس لوليمة الطعام.

وبعد أن استعرضنا المعنى اللغوي لكلمة الأدب وأصلها في اللغة العربية، ننتقل إلى التعريف الاصطلاحي الذي تطور بتطور حياة الأمة العربية وانتقالها من البداوة إلى الحضارة.

فالأدب في المفهوم الحديث هو: الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين سواء كان شعرا أو نثرا وهو أدّق معانيه: الصياغة الفنية للتجربة الإنسانية.[2]

يؤكد هذا التعريف أن الأدب ليس مجرد رصف للكلمات، بل هو فن بليغ يهدف في مقامه الأول إلى تحريك الوجدان وبث الحياة في المعاني. فسواء تجلى في موسيقى الشعر أو رصانة النثر، فإنه يظل الوسيلة الأرقى لتجسيد التجربة الإنسانية وتحويل الأفكار الجافة إلى صور جمالية تلمس القلب وتغذي الفكر، مما يجعله المرآة الأصدق لقيمنا ومشاعرنا. ومن هذا المنطلق، يمكننا القول إن الأدب هو"**علم يشمل فن الكتابة ويُعنى بالآثار الخطية النثرية والشعرية وهو المعبّر عن حالة المجتمع البشري والمبيّن بدّقة، والأمانة عن العواطف التي تعتمل في نفوس الشعب أو جيل من الناس**".[3]

---

[1] أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين، معجم مقياس اللغة، م: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، 1399هـ - 1979م، عدد الأجزاء6، ص241.

[2] ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، ط2، ص10.

[3] عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص315.

وهذا ما يجعل الأدب يتجاوز كونه مجرد تعبير ذاتي، ليصبح مرآة عاكسة للحالة الشعورية للإنسان والظروف التي تحيط به. وبما أن الإبداع الأدبي يخضع لمؤثرات النشاط الإنساني والاجتماعي، سواء كان ذلك سلبا أم إيجابا، فإنه من المستحيل فصل النص عن البيئة والمجتمع الذي ولد فيه. ومن هنا تبرز ضرورة دراسة هذا التلاحم الوثيق عبر ما يُعرف بـــ (**علم اجتماع الأدب**).

– تعريف علم اجتماع الأدب:

يتأثر الأدب بالواقع الاجتماعي بمختلف أبعاده، لذلك يمكن اعتباره ظاهرة اجتماعية شأنه شأن سائر الظواهر الإنسانية. ويتجلى ذلك من خلال مكوّناته الأساسية، وهي: المؤلف، والنص الأدبي، والمتلقي، إذ تمثل هذه العناصر أركان العلاقة القائمة بين الأدب والمجتمع. ومن هذا المنطلق ظهرت مناهج نقدية تسعى إلى تحليل هذه العلاقة من منظور اجتماعي، وهو ما عُرف بالنقد الاجتماعي أو النقد السوسيولوجي، الذي يركّز على دراسة الأدب بوصفه تعبيرا عن الواقع الاجتماعي وتمثيلا له. وقد شكّلت هذه الاتجاهات النقدية الإرهاصات الأولى لظهور علم اجتماع الأدب بوصفه علما قائما بذاته.

وانطلاقا من هذه المعطيات، برز علم اجتماع الأدب بوصفه حقلا معرفيا يهتم بدراسة العلاقة بين الأدب والمجتمع دراسة علمية منظمة. وقد تعددت تعريفاته بتعدد الباحثين والاتجاهات، ومن بين هذه التعريفات ما قدّمه **سيد البحراوي**، الذي يرى أن علم اجتماع الأدب هو العلم الذي يدرس "**العلاقة بين الأدب والمجتمع**" أو "**الأدب باعتباره ظاهرة اجتماعية**".[1]

[1] سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان، دار نوبار للطباعة–القاهرة، ط1، 1992م، ص1.

يؤكد تعريف **سيد البحراوي** أن علم اجتماع الأدب لا يقتصر على دراسة النصوص الأدبية بشكل منفصل، بل يركز على **العلاقة الجدلية بين الأدب والمجتمع**، إذ يتأثر الأدب بالواقع الاجتماعي ويؤثر فيه في الوقت نفسه. هذا التعريف يوضح أن الأدب **ظاهرة اجتماعية حقيقية** يمكن دراستها علميا، كما يضعنا أمام مسؤولية النظر إلى النص الأدبي ليس فقط كإبداع فردي، بل كنتاج اجتماعي يعكس قيم المجتمع وتحوّلاته.

ومن التعريفات البارزة كذلك ما قدّمه **روبير إسكاربيت**، الذي ينظرُ إلى علم اجتماع الأدب باعتباره دراسة للأدب في إطار شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تشمل الكاتب والنص والقارئ، مع التركيز على شروط إنتاج العمل الأدبي وتداوله واستقباله داخل المجتمع. ويؤكد هذا التصور أن الأدب لا يُفهم في معزل عن البُنى الاجتماعية التي تحيط به، بل يُعد جزءًا من نظام اجتماعي وثقافي متكامل.[1]

وعليه، يُقصد بعلم **اجتماع الأدب** أو ما يسمى **بسوسيولوجيا الأدب** التعامل مع الظواهر والوقائع الأدبية تعاملا اجتماعيا يقوم على الفهم والتفسير والتأويل، بربط الأدب بالمؤسسات الاجتماعية، ودراسة الإبداعات الفنية والجمالية في ضوء سياقها المجتمعي، ورصد مختلف العلاقات المباشرة وغير المباشرة التي تصل الأدب بالمجتمع.

[1] ينظر آرون بول، فيالا ألان، سوسيولوجيا الأدب، ت: محمد علي مقلد، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2013م، ص49.

السيرة الذاتية للمؤلف:

إذا كان حضور اسم المؤلف في الغلاف يمنح العمل بعده الأكاديمي، فإن التعريف بشخصيته العلمية يتيح فهما أعمق لخلفيته الفكرية وموقعه ضمن الحقل النقدي. يُعدّ **سيد البحراوي** من أبرز النقاد العرب المعاصرين الذين أسهموا في تطوير الدرس النقدي الحديث. ولد سنة 9 جانفي 1953م، وتوفي سنة 16 جوان 2018م، جمع في مسيرته بين البحث الأكاديمي الصارم والممارسة النقدية الواعية بقضايا المجتمع والثقافة. تلقّى تكوينه الأكاديمي في مصر، واشتغل أستاذا

في عدد من الجامعات المصرية، كما عمل أستاذا زائرا في جامعات عربية وأجنبية، وأسهم في الإشراف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه، فضلًا عن مشاركته في تحكيم بحوث علمية في دوريات متخصصة.

وقد عُرف **البحراوي** بمشروعه النقدي الذي يقوم على إعادة النظر في المفاهيم والمناهج الوافدة، داعيا إلى تجاوز التبعية للنماذج الغربية، وبناء رؤية نقدية عربية تنطلق من خصوصية الواقع الثقافي والاجتماعي العربي. وانشغل بقضايا متعددة في النقد الأدبي، من بينها السرديات، والنقد الثقافي، وعلم اجتماع الأدب، حيث سعى إلى ربط النص الأدبي بسياقه الاجتماعي والتاريخي. وأكدّ أن العمل الأدبي لا يُفهم بمعزل عن الشروط التي أنتجته ولا عن البُنى الثقافية التي تحيط به.

وتجلّت هذه الرؤية بوضوح في كتابه **علم اجتماع الأدب**، الذي يُعدّ من الأعمال التأسيسية في تقديم هذا الحقل للقارئ العربي. تناول فيه نشأة هذا العلم وتطوره، وعرّف بأبرز اتجاهاته ومناهجه، مع إبراز أهمية دراسة العلاقة الجدلية بين الأدب والمجتمع. كما اتسمت كتاباته بوعي فلسفي واضح وبنزعة نقدية مسؤولة ترى في الأدب ممارسة إنسانية تتقاطع فيها الجمالية بالمضامين الفكرية والأبعاد الاجتماعية.

ومن خلال مسيرته الفكرية، يتبين أن **البحراوي** لم يكن مجرد ناقد يطبق مناهج جاهزة، بل كان صاحب موقف نقدي يسعى إلى تأصيل المعرفة الأدبية في سياقها الحضاري. وهذا منح أعماله طابعا مميزا داخل الحقل النقدي العربي المعاصر، وجعل اسمه مرتبطا بمحاولات تجديد الخطاب النقدي وربطه بالواقع الثقافي والاجتماعي.[1]

[1] ينظر إبراهيم أبو طالب، علم اجتماع الأدب عند سيد البحراوي، مدونة إبراهيم أبو طالب، 21 يوليو 2020م، متاح على: https://ibraheemabotalib.blogspot.com/2020/07/23.html ، تاريخ الاطلاع: (2026/02/15).

خلاصة الفصل الأول:

في هذا الفصل تطرّقتُ إلى دراسة العتبات الخارجية لكتاب علم اجتماع الأدب، من خلال وصف الواجهة الأمامية والخلفية للكتاب، حيث تناولتُ في الواجهة الأمامية تمهيدا، وتحليلا لعنوان الكتاب، والوصف المادي للكتاب، إضافة إلى اسم المؤلف، والعناصر البصرية والألوان، والخطوط والتنسيق، والناشر ودلالته، وخلاصةً للغلاف الأمامي. كما وضعتُ في الواجهة الخلفية تمهيدا، ودرستُ مضمون الغلاف الخلفي، والدلالات العامة للغلاف الخلفي، وأخيرا قدمتُ خلاصةً للغلاف الخلفي. ولم تقتصر دراستي على الجوانب الشكلية فقط، بل امتدت إلى دراسة عنوان الكتاب من خلال تعريف مفاهيم علم الاجتماع، والأدب، وعلم اجتماع الأدب، ثم تناولت السيرة الذاتية للمؤلف الدكتور سيد البحراوي.

وتكمن أهمية العودة إلى البحراوي في هذا البحث في كونه قد أسهم في تأصيل النظر إلى الأدب بوصفه ظاهرة اجتماعية، مما يجعل تصوّره النقدي منسجما مع الإطار النظري الذي تنطلق منه هذه الدراسة. كما أن اختياره مصدرا في هذا السياق يعكس الرغبة في الاستناد إلى رؤية نقدية عربية واعية بخصوصية العلاقة بين النص الأدبي وبنيته المجتمعية.

الفصل الثاني :

الدراسة الداخلية للكتاب

وصف عام لمضامين الكتاب:

يحتوي كتاب علم اجتماع الأدب على أربعة فصول رئيسية، تسبقها مقدمة ومدخل نظري، وتليها خاتمة وقائمة مراجع، كما يتشكل من خمسة عناوين كبرى تشمل المدخل وأربعة فصول، تتفرع بدورها إلى عناوين جزئية. وتختلف فصول الكتاب من حيث الحجم، حيث يمتد الفصل الأول من صفحة 12 إلى 19، بينما يملأ الفصل الثاني حيزا أكبر، من الصفحة 20 إلى الصفحة 36، في حين يتراوح الفصل الثالث بين الصفحة 37 و45، أما الفصل الرابع فيمتد من الصفحة 46 إلى الصفحة 61. وتتميز هذه الفصول بنوع من التدرّج والانسجام المنهجي، إذ يبدأ المؤلف بطرح مدخل نظري يحدّد فيه مفاهيم علم اجتماع الأدب وحدوده، ثم ينتقل إلى عرض أهم الاتجاهات الكبرى في هذا المجال، كالاتجاه الوضعي في الفصل الأول، والتوجه الماركسي في الفصل الثاني، ثم المقاربة الأمبريقية ودراسات جمهور الأدب في الفصل الثالث، ليصل في الأخير إلى تحليل العلاقة بين النص الأدبي وبيئته الاجتماعية في الفصل الرابع. وبذلك يقدّم الكتاب رؤية شاملة ومتكاملة لمختلف المقاربات التي أسهمت في بناء علم اجتماع الأدب.

تلخيص مضامين الكتاب:

يتمحور كتاب **علم اجتماع الأدب** حول بيان العلاقات القائمة بين الإبداع الأدبي والمجتمع، حيث ينطلق الكاتب من فكرة أساسية مفادها أن العمل الأدبي لا يمكن فصله عن السياق الاجتماعي والتاريخي الذي نشأ فيه، بل يعتبرُ انعكاسا لمجموعة من المؤثرات الثقافية والفكرية التي تحيط به. وفي هذا الصدد، يهدف المؤلف إلى تقديم تصور منهجي **لعلم اجتماع الأدب**، من خلال التعريف بهذا الحقل المعرفي وبيان نشأته وأهم مرتكزاته المفاهيمية.

كما يدرس الكتاب أبرز الاتجاهات النقدية التي اهتمت بدراسة الأدب من منظور اجتماعي، حيث يعرض الاتجاه الوضعي الذي ركّز على النص الأدبي باعتباره وثيقة أو ظاهرة تخضع لقوانين العلم الطبيعي، وذلك من خلال اهتمامه بالكاتب وبظروفه الخارجية كعامل أساسي للأدب. ثم ينتقل

إلى الإطار الماركسي الذي اهتم بالمجتمع وصراعه الطبقي، حيث يُعد النص هنا وسيلة للتعبير عن الواقع الاجتماعي وتصويره، بالإضافة إلى المقاربة الأمبريقية التي تهتم بجمهور القراء وعملية التلقي.

ولا يقتصر محتوى الكتاب على عرض هذه الاتجاهات فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى إبراز أهمية دراسة النص الأدبي في ضوء بنيته الداخلية وعلاقته بالسياق الاجتماعي، مما يمنح فهما أعمق للعمل الأدبي. كما يوضح المؤلف دور القارئ والمجتمع في إنتاج المعنى الأدبي، مؤكدا أن الأدب ليس مجرد إبداع فردي، بل هو نتاج تفاعل مستمر بين الكاتب وواقعه الاجتماعي.

ومن خلال هذا الطرح، يستعرض الكتاب رؤية شاملة ومتكاملة **لعلم اجتماع الأدب**، تساعد القارئ على فهم الروابط بين الأدب والواقع الاجتماعي، وتجعل من الكتاب مرجعا مهما للطلبة والباحثين الأكاديميين.

تلخيص فصول الكتاب:

1/ مقدمة الكتاب:

استهل **سيد البحراوي** كتابه بمقدمة استعرض فيها ماهية **علم اجتماع الأدب**، حيث عرّف من خلالها هذا العلم، مبرزا أهم الإشكالات المرتبطة به، خاصة ما يتعلق بتعدد تسمياته وتعدد مناهجه. ويختص هذا العلم بدراسة العلاقة القائمة بين الأدب والمجتمع، حيث يُعدّ الأدب ظاهرة اجتماعية تعكس مختلف التحولات الثقافية والتاريخية. وقد نشأ هذا العلم في أوروبا قبل أن ينتقل إلى العالم العربي، ومن ثم تأثر به الباحثون العرب وسعوا إلى الاستفادة منه وتوظيفه لخدمة الأدب العربي ومجتمعه، خاصة في ظل التفاعل الحضاري مع الفكر الغربي. غير أن هذا الانتقال لم يكن بالأمر السهل وإنما واجه بعض الصعوبات، إذ ارتبط في كثير من الأحيان بالترجمة والنقل ثم التأليف دون تكيّف تام مع خصوصيات المجتمع العربي. وعلى هذا النحو، لم يتبلور علم اجتماع الأدب في النقد العربي كمنهج مستقل بشكل تام، بل ظل مرتبطا باتجاهات نقدية أخرى، مع تركيزه على تحليل العلاقة بين النص الأدبي وسياقه الاجتماعي. كما أن هذا العلم يُعرف بأنه بحث

جماعي بطبعه، لا يمكن دراسته بمعزل عن العلوم الانسانية الأخرى، إذ يستفيد من مناهج علم النفس، علم الاجتماع، والاقتصاد، والتاريخ، والفلسفة، إلى جانب علوم اللغة، مما يجعله حقلا متعدد التخصصات والمناهج يعتمد على تكامل المعارف لفهم الظاهرة الأدبية في أبعادها المختلفة. وبالرغم من وجود بعض الخلافات والتفاوت في المفاهيم والزوايا التي تنطلق منها المناهج المختلفة، إلا أنها لا تُعتبر نقطة ضعف، بل تُعد مصدر ثراء يساهم في فهم الظاهرة الأدبية المركبة والمعقدة. ومن خلال ذلك يدعو المؤلف إلى تبني نوع من الحياد المبدئي تجاه هذه المناهج، ليس من أجل العرض فقط، بل بهدف الاستفادة من مناهجها جميعا، شرط الحفاظ على التمايز المنهجي لكل علم لتجنب الوقوع في فخ التلفيق أو القص واللصق.

كما يقدّم المؤلف رؤيته الخاصة من خلال منهج نقدي اجتماعي يسعى الوصول إلى ما يسمى بـــــــ**محتوى الشكل**، وهو المنهج الذي يراه الأصلح لدراسة النص الأدبي عامة، كونه يجمع بين فردية المبدع والقيم الجماعية للجماعة. وفي الختام يوضح الكتاب تسلسله التاريخي في عرض المناهج من **الوضعي** إلى **الماركسي** ثم **الأمبريقي** وصولا **لعلم اجتماع النص**، مؤكدا أن الهدف النهائي هو تحقيق وحدة منهجية مركزية تسمح بتفاعل المناهج وتكاملها دون أن تفقد خصوصيتها، لتقدم مشروعا منهجيا صالحا للميادين الأساسية: النقد والتاريخ والأدب المقارن.[1]

2/ مدخل الكتاب:

يوضح المؤلف في مدخل كتابه أن هناك إشكالية مرتبطة بمصطلح **علم اجتماع الأدب**، حيث يستعرض عدة تسميات مستخدمة لهذا المجال، مبينا أن كل تسمية تحمل دلالة خاصة تعكس وجهة نظر معينة تجاه العلاقة بين الأدب والمجتمع. على سبيل المثال يبين المؤلف أن مصطلح "**علم اجتماع الأدب**" يعد الترجمة الأكثر شيوعا للإنجليزية **sociology of literature** أو الفرنسية **sociologie de la littérature**. بالإضافة إلى هذا المصطلح، يشير إلى أن هناك فئة تفضل استخدام صيغة أخرى هي "**علم الاجتماع الأدبي**"، إلى أن إضافة صفة "**أدبي**" قد توحي بأن العلم

[1] ينظر، سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص1-6.

نفسه أدبي، في حين أن موضوعه الحقيقي هو دراسة الأدب من منظور اجتماعي. كما يستعرض المؤلف صيغة ثالثة، "**سوسيولوجيا الأدب**"، وهي ترجمة مباشرة للمصطلح اللاتيني، ويرى أنها قد تكون أدق لتجنب الالتباس الذي يسببه استخدام كلمة "**علم**" في العربية، حيث قد يخلط البعض بين مفهوم العلم في العلوم الطبيعية الصارمة والعلوم الإنسانية الأكثر مرونة.

وبالانطلاق من هذه التسميات، يبرز الكاتب قضية العلاقة بين الأدب والمجتمع، والتي تقوم على خلاف بين نظريتين رئيسيتين متنافستين: **نظرية الانعكاس**، التي ترى أن الأدب مجرد مرآة تعكس الواقع الاجتماعي، و**نظرية الكمون**، التي تؤكد أن العلاقة بين الأدب والمجتمع أعمق، فالمجتمع ليس مجرد عنصر خارجي ينعكس في النص الأدبي، بل هو كامن داخل بنية النص نفسه ويسهم في تشكيله.

وبناءً على الاختلاف في فهم العلاقة بين الأدب والمجتمع، تناول الكاتب تعدد المناهج في دراسة الأدب، مبرزا الخلافات التي تميزها فيما يتعلق بالزاوية التي يتم التركيز عليها في النصوص الأدبية. ويشير إلى أن أبرز الاتجاهات وأكثرها شيوعا هي التي ركزت على مضمون الأدب، مع استعراضه لمختلف المناهج مثل **الوضعية، الماركسية، الأمبريقية، نظريات التلقي** و**علم اجتماع النص**، موضحا أن كل منها يسلط الضوء على جانب مختلف من العمل الأدبي، سواء من الإنتاج أو السياق أو البنية الداخلية للنص.

بعد مناقشة المناهج المختلفة، يدرس الكاتب الخلافات المتعلقة بمفهوم المجتمع، مبرزا أن أقدم هذه الخلافات وقع بين المدرستين **الوضعية** و**الماركسية**، حيث قدم كل منهما المجتمع وفق رؤيته الخاصة. ورغم صحة بعض وجهات الظر **الماركسية** وانتشارها في هذا المجال، إلا أن الخلاف لم يُحسم بعد حول عدد من القضايا الهامة، وحتى داخل **الماركسية** نفسها مازالت هذه الاختلافات.

وفي الأخير يشير الكاتب إلى أن معظم هذه الخلافات قائمة حتى اليوم، وأن كل منهج من مناهج **علم اجتماع الأدب** يتمسك بمجموعة أساسية من مفاهيمه وأسسه النظرية وأدواته

المنهجية، وقد يؤدي هذا أحيانا إلى تصادم بين منهجين أو أكثر حول الزوايا التي تم التركيز عليها في الدراسة او حول طرق تحليلها ودراستها، إلا أن هذا التعدد والتباين هو ما يضمن استمرارية هذه المناهج في دراسة الأدب وعلاقته بالمجتمع.[1]

3/ تلخيص الفصل الأول: "الوضعية"

يُعرف المنهج الوضعي بأنه نظام فلسفي نشأ كرّد فعل على كل من الفكر اللاهوتي القائم على معتقدات غير قابلة للتحقق، والتصورات الميتافيزيقية التي تتسم بالتجريد والغموض المفرط، حيث يقوم على الاعتماد على بيانات التجربة الحسيّة والوقائع الملموسة. ويُقصد بمصطلح "**وضعي**" ما هو واقعي ومؤكد، عكس لما هو خيالي أو مجرد، كما يدل على ما هو عملي وهادف وقابل للتحقق. ويُعد الفيلسوف الفرنسي **أوغست كونت** (1798-1857) مؤسس الفلسفة الوضعية من خلال كتابه "**دروس في الفلسفة الوضعية**" الذي طرح فيه قانون الحالات الثلاث، والذي ينص على أن الفكر الإنساني يمر في تطوره بثلاث مراحل متتالية: تتمثل المرحلة الأولى في المرحلة اللاهوتية، حيث يفسر الإنسان الظواهر بالاعتماد على قوى خارقة أو دينية مثلا (هبوب الرياح سببه غضب إله الريح)، وقد مرت هذه المرحلة بدورها بثلاثة أطوار هي: الوثنية، ثم الشرك وتعدد الآلهة، وأخيرا التوحيد. وتليها المرحلة الميتافيزيقية (المجرّدة)، والتي يتم فيها استبدال التفسيرات الدينية بتصورات مجرّدة وقوى غامضة، مع بقاء الطابع التأملي. أما المرحلة الثالثة فهي المرحلة الوضعية أو العلمية، حيث يعتمد الإنسان على الملاحظة والتجربة، ويسعى إلى اكتشاف القوانين التي تحكم الظواهر بعيدا عن التفسيرات الغيبية. كما ترتبط كل مرحلة بشكل معيّن من أشكال المجتمع، إذ تتوافق المرحلة اللاهوتية مع المجتمع الكهنوتي والإقطاعي، بينما تتوافق المرحلة الميتافيزيقية مع المجتمع الثائر، في حين تتوافق المرحلة الوضعية مع المجتمع العلمي الصناعي.[2]

---

[1] ينظر، سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص7-11.

[2] ينظر، كارول الخوري، الفلسفة الوضعية: تعريفها، مؤسسها، وتأثيرها في الفكر العربي، منصة تكوين، 13 يناير 2024م، متاح على: https://taqueen.com تاريخ الاطلاع: (2026/04/11).

ومن هذا المنطلق، انعكست مبادئ الفلسفة الوضعية على الدراسات الأدبية، مما أدى إلى بروز توجه يسعى إلى تفسير الأدب في علاقته بالواقع الاجتماعي. وهذا ما جسده لنا المؤلف في كتابه حيث لقد أشار لنا في فصله الأول الموسوم "**بالوضعية**" إلى أن مصطلح "**علم اجتماع الأدب**" لم يُستعمل بصيغته المتداولة إلا في منتصف القرن العشرين، حيث ارتبط ظهوره بجهود **جي ميشو** في كتابه "**مدخل إلى علم الأدب**"، حسب ما أورده **روبير إسكاربيت**.[1] غير أن هذا لا يعني أن هذا العلم وُلد في تلك الفترة، بل هو نتيجة مسار طويل من التطور الفكري سبق ذلك بزمن، إذ تشكّل عبر سلسلة من التراكمات التي مهّدت لظهوره بصيغته الحديثة.

كما يوضح المؤلف أن الأدب يُعد ظاهرة اجتماعية ارتبطت بوجود الإنسان داخل المجتمع،[2] فهو مرآة عاكسة لمختلف جوانب الحياة الإنسانية، ويُعتبر أداة من أدوات تفاعل الإنسان مع واقعه. غير أن هذه الحقيقة، رغم وضوحها، لم تحظ باهتمام كبير في الدراسات الأدبية القديمة، حيث لم يتم التركيز عليها بوصفها أساسا في تحليل النصوص الأدبية.

وفي هذا الصدد، يشير المؤلف إلى أن التصورات النقدية الكلاسيكية، خاصة عند **أفلاطون** و**أرسطو**، قد عالجت الأدب من خلال **نظرية المحاكاة**، التي تعتبره تقليدا للطبيعة أو للطبائع البشرية. غير أن هذا التصور يظل محدودا، لأنه لا يراعي الأبعاد العميقة للنص الأدبي، خاصة ما يتعلق بالفكر الفلسفي الذي يحكم هذه التصورات، كما هو الحال عند **أفلاطون** الذي يربط الأدب بعالم المثل، وليس بالواقع المباشر.

ويضيف الكاتب أن هذا التصور الأدبي ظل سائدا خلال العصور القديمة والوسطى، إلى أن بدأت ملامح التحول تظهر مع بدايات العصر الحديث، نتيجة التغيرات التي عرفها المجتمع الأوروبي

---

[1] ينظر روبير إسكاربيت، سوسيولوجيا الأدب، ت: أمال أنطوان عرموني، بيروت، منشورات عويدات، ط2، 1983، ص34.

[2] ينظر، سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص12.

بعد النهضة، والتي أسهمت في انهيار النظام الإقطاعي السائد آنذاك، وانتهاء سيطرة الكنيسة على المجتمع والفكر البشري، وقد أدى ذلك إلى بروز ما يُعرف بالعلمانية وإعادة النظر في طبيعة العلاقة بين الأدب والمجتمع، ومنذ نهاية القرن السابع عشر بدأ الأدباء يلمحون عن تأثير المجتمعات في آداب شعوبها، وكان من بينهم **جيمس رايت** (**1699**)، والفيلسوف **لوي دي بونال** (**1754–1840**)، وأعقبه الكاتب الفرنسي **ستندال** في روايته "**الأحمر والأسود**" إضافة إلى الفيلسوف الإيطالي **فيكو** في كتابه "**العلم الجديد**" (**1725**). وهذا ما فتح المجال أمام ظهور تصورات جديدة مهّدت لتأسيس علم اجتماع الأدب بصيغته الحديثة.

3–1: الوضعية عند مدام دي ستال: Mme De Staël

إذا رجعنا إلى الموروث الفكري والثقافي للقرن التاسع عشر، نجد أن الارهاصات الأولى للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب ونقده منهجيا قد بلغت تطورها وازدهارها في فرنسا مع بدايات القرن التاسع عشر، عندما أصدرت الأديبة والمفكرة الفرنسية **مدام دي ستال** (**1766–1817**) كتابها الموسوم بـــ "**الأدب في علاقاته بالمؤسسات الاجتماعية**" لأنه يُعد ذلك أول مسعى يجمع بين مفهومي الأدب والمجتمع في إطار دراسة منهجية موحدّة، حيث حددت موقفها في مقدمة هذا الكتاب قائلة: "**لقد عزمت أن أنظر في مدى تأثير الدين والعادات والقوانين في الأدب ومدى تأثير الأدب في الدين في العادات والقوانين**".[1] وبذلك سعت إلى توضيح تأثير الدين والعادات والتقاليد، ومدى تأثير الظروف التاريخية في نشأة الجنس الأدبي، فضلا عن اسهامه في توجيه مسار التاريخ وتصحيحه، ثم دعمّت هذه الفكرة من خلال النظر إلى المؤلفات الأدبية على أنها "**ظواهر يمكن دراسة أسبابها ونتائجها**".[2] وأبرز مثال قدّمته **مدام دي ستال** أنها حاولت تطبيق المنهج الاجتماعي في دراسة الأدب من خلال تفسيرها لازدهار الرواية، إذ ترى أن هذا الجنس الأدبي لا

[1] خديجة حبيبي، النقد الاجتماعي بين التنظير والانجاز، قراءة في المدونة النقدية الجزائرية المعاصرة، كلية الآداب واللغات، جامعة معسكر، ص4.

[2] جان كلود كارلوني وجان كلود فيللو، النقد الأدبي، ت: كيتي سالم، بيروت، منشورات عويدات، ط2، 1984م، ص21-22.

يتطور إلا في المجتمعات التي تحظى فيها المرأة بمكانة مرموقة محترمة من طرف الأفراد و الجماعات، والتي يُحترم فيها الجانب الخاص من حياة الأفراد، وما يرتبط به من علاقات اجتماعية وعاطفية. ومن هذا المنطلق فسرّت **مدام دي ستال** غياب الرواية في بعض المجتمعات، كالمجتمع الإيطالي مثلا، وذلك نتيجة الإسراف في التحرر وعدم الالتزام بالقواعد، إلى جانب ضعف حضور المرأة كما لا تمنح سوى قدر محدود من الاحترام، على عكس ما هو قائم في إنجلترا على سبيل المثال. ويشير المؤلف إلى أن هذا التفسير يُمثل خطوة متقدمة في إدراك العلاقة بين الأدب والمجتمع، إذ امتد أثره في دراسات لاحقة أبرزت الدور الفعّال للمرأة في نشأة الرواية وتطوّرها.

2-3: الوضعية عند هيبوليت تين: Hippolyte Taine

بالرغم مما قدمته **مدام دي ستال** في دراسة العلاقة بين الأدب والمجتمع، من خلال إبرازها لدور "**البيئة**" واعتبارها عنصرا أساسيا في إنتاج الأدب، حيث يتأثر بما يحيط به من عادات وتقاليد والدين والقوانين، إلا أن هذا التصور لم يقتنع به الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي **هيبوليت تين** (**1828-1893**)، إذ اعتبره تصورا محدودا لاقتصاره على عامل واحد فقط، وهو ما قد يضفي على هذا العنصر طابعا أقرب إلى الميتافيزيقا، وانطلاقا من ذلك، سعى **تين** إلى تطوير هذا الطرح، من خلال تقديم تفسير أكثر شمولا يقوم على ثلاثة عناصر أساسية: ((**الجنس(العرق)**: هو "**مجموعة استعدادات سيكولوجية فطريّة وراثيّة**"، **البيئة(المكان)**: هي "**مجموعة الظروف التي يخضع لها الشعب**"، **العصر(الزّمن)**: هو "**دفعة من الماضي إلى الحاضر، وهو نقطة يصل إليها فكرُ الشعب في صيرورته**"))[1]، ويرى **تين** أن هذه العوامل الثلاثة هي أكثر شمولا في تفسير الأدب، بحيث يرى أن الانتاج الأدبي هو نتيجة تفاعل هذه العوامل المجتمعة، وكشف ذلك من خلال ممارسته لهذه المقاربة في كتابه "**مقدمة الأدب الإنجليزي**"، قائلا أنها هي" **بعض طرق عامة في التفكير وفي الشعور، إنها حالات للفكر**".[2]

[1] سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص16.

[2] جان كلود كارلوني وجان كلود فيللو، النقد الأدبي، ص53.

وبالانطلاق من ذلك، يعكس لنا هذا التصور تأثر **تين بأوجست كونت**، إذ سعى إلى إخضاع الظاهرة الأدبية لتفسير علمي قائم على البحث عن الأسباب والعلل. إلا أنه لم يخلُ هذا الطرح من الانتقادات، خاصة فيما يتعلق بالطابع الميتافيزيقي لبعض مفاهيمه، لاسيما مفهُومي "**العرق**" و"**روح العصر**"، اللذين يتسمان بشيء من الغموض والتجريد، إضافة إلى اهماله للجانب الإبداعي في العمل الأدبي، إذ ركزّ أساسا على العوامل الثلاثة فقط، مما يجعل تفسيره أقرب إلى طابع السيكولوجي وليس اجتماعي.

3-3: الوضعية في النقد العربي:

لقد انتقلت مبادئ المنهج الوضعي إلى النقد العربي، من خلال تلك التصورات التي ظهرت في الفكر الغربي، حيث تأثر بها عدد من النقاد العرب، وسعوا إلى تطبيقها في دراسة الأدب وربطه بمختلف العوامل الخارجية كالبيئة والظروف الاجتماعية والتاريخية. ويُعدّ **طه حسين** من أبرز من تأثروا بهذا الاتجاه، إذ حاول توظيف مبادئه الأساسية في دراسة الأدب العربي، وذلك على سبيل المثال في كتابه "**في ذكرى أبي العلاء**" الصادر سنة **1914**،[1] حيث لم يدرس فيه المعري كشاعر فقط، بل درسه كظاهرة نتجت عن بيئة المعرة وعصره العباسي المضطرب وعرقه العربي. وذلك من خلال الاعتماد على التفسير العقلي والاجتماعي بالدلالات نفسها التي أبرزناها عند تين والوضعيين. غير أن هذه المحاولات، رغم أهميتها، لم تخلُ كذلك من بعض التناقضات، حيث وقع أصحابها في مزج غير منسجم بين تصورات فلسفية مختلفة، ومنها الجمع بين التصورات الديكارتية القائمة على العقل، والتصورات الوضعية التي تعتمد على التجربة والملاحظة.

وقد تأثر تلاميذ **طه حسين**، وخاصة مؤرخي الأدب بالمبادئ العامة للوضعية التي تلقاها عن أستاذه المباشر **دور كهايم**، حيث سعوا إلى تطبيقها على تاريخ الأدب العربي من خلال اعتماد

[1] ينظر، سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص18.

مقولات مثل العصر والجنس والبيئة، وربط التطور الأدبي بالأحداث السياسية، وهو ما تجلى بوضوح في أعمال **شوقي ضيف** وتلاميذه.

كما نجد امتدادا لهذا الاتجاه في المدرسة الاجتماعية في النقد الأدبي، حيث ربطت تطور الأدب بتطور المجتمع والأحداث السياسية، وقد مثّل ذلك عدد من النقاد من أبرزهم **لويس عوض** و**محمد منذور** و**محمود أمين العالم** و**عبد المحسن طه بدر** وغيرهم من النقاد، الذين ركزوا على تأثير العصر والبيئة في الإنتاج الأدبي. ومع ذلك فقد تراجع الاهتمام ببعض عناصر المنهج الوضعي، مثل الجنس (العرق)، مقابل التركيز على العوامل التاريخية والاجتماعية.

و على هذا الأساس، يشير المؤلف إلى أن **الاتجاه الوضعي** يُعدّ من أكثر المذاهب تأثيرا في علم اجتماع الأدب، سواء في الغرب أو في النقد العربي، وذلك على امتداد قرنين من الزمان، وبالرغم من أنه لم يستمر بوصفه مذهبا مستقلا، إلا أن أثره ضلّ ممتدا، حيث بقيت بصماته حاضرة "**كأصول فلسفية ومنهجية**"[1] في الاتجاهات التي تلته.

4/ تلخيص الفصل الثاني: "الماركسية"

وفي إطار تطور المناهج النقدية التي اهتمت بدراسة العلاقة بين الأدب والمجتمع، برز **الاتجاه الماركسي** بوصفه أحد أبرز الاتجاهات التي قدّمت تفسيرا ماديا للظواهر الإنسانية. إذ تُمثل **الماركسية** منظومة فكرية متكاملة تعمل على تفسير المجتمع وتحولاته، سواء تعلق الأمر بالأزمات الاجتماعية أو الاقتصادية، كإشكاليات الفقر والتفاوت الطبقي، أو بالأزمات السياسية مثل الانقلابات والأنظمة الاستبدادية الدكتاتورية والثورات الاجتماعية. كما تمتد لتشمل تحليل قضايا العمل والتكنولوجيا، وما تُحدثانه من تأثيرات في بنية المجتمع وتطوره.

[1] سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص19.

وتعود جذور هذه النظرية إلى "**كارل ماركس**" (**1818–1883**)، و"**فريدريك أنجلز**" (**1820–1895**)[1]، فالأول هو مؤسس الفعلي للنظرية الماركسية، بينما يُعتبر الثاني هو شارحا مُطورا لأفكار ماركس، وقد أكدا على أن الوعي الإنساني يتشكل في إطار الشروط المادية والتاريخية التي يعيشها الإنسان.

وقد عرّف **أنجلز** الماركسية بأنها: "**دليل عمل وليست دوجما**"[2] أي أنها لا تقتصر على كونها مجموعة من التصورات النظرية المجردة، بل تُعد منهجا علميا يُعتمد عليه في تحليل الواقع الاجتماعي والسعي إلى تغييره. ويُفهم من هذا التعريف أن الماركسية لا تقوم على الجمود والثبات، بل هي نظرية منفتحة تتسم بالمرونة وقابلة للتطور بما ينسجم مع مختلف التحولات التاريخية والظروف الاجتماعية.

وانطلاقا من هذا التصور، يشير الكاتب في مقدمة هذا الفصل إلى أن النصف الأول من القرن العشرين شهد صراعا بين علماء الاجتماع الغربيين والتيار الماركسي، خاصة في ظل التنافس مع التيارات الاشتراكية، حيث سعى كل طرف إلى إثبات مشروعية مناهجه العلمية. وفي هذا السياق، يرى الماركسيون أن علم الاجتماع لا يملك مبررا مستقلا لوجوده، انطلاقا من اعتبارهم أن الماركسية تقدّم تصورا شاملا يقوم على **المادية الجدلية** التي تفسر تطور المجتمع والفكر والطبيعة على أساس الصراع بين التناقضات الداخلية التي تؤدي إلى تغيير مستمر، و**المادية التاريخية** التي تُعدّ تطبيقا للمادية الجدلية في التاريخ الإنساني، وتفسّر تطور المجتمعات البشرية من خلال العوامل الاقتصادية والصراع بين الطبقات الاجتماعية.

ولا يكتفي هذا التصور بتفسير الواقع الإجتماعي فحسب، بل يسعى إلى تغييره، خاصة لصالح الطبقات الكادحة. وإذا كان هذا هو الموقف المتعلق بعلم الاجتماع بصفة عامة، فإن الموقف

---

[1] ينظر، نورة كطاف هيدان، النظرية الماركسية: الأسس والتقييم، مجلة كلية القانون والعلوم السياسية العدد 5، الجامعة العراقية–كلية القانون والعلوم السياسية، ص400.

[2] جون مولينو، ما هو التراث الماركسي الحقيقي، ت: مركز الدراسات الاشتراكية، كراسات اشتراكية، د.ط، د.ت، ص14.

الماركسي من علم اجتماع الأدب كان أشدّ حدّة، إذ اعتبره محاولة لمنافسة النقد الماركسي الذي يهتم أساسا بالعلاقة بين الأدب والمجتمع.

4-1: أسس النظرية الماركسية:

ولتوضيح **التصور الماركسي** في دراسة الأدب والمجتمع، يقتضي الأمر الوقوف عند أهم الأسس العامة التي يقوم عليها هذا الاتجاه، والتي تمثل منطلقا نظريا لفهم مختلف الظواهر الإنسانية.

يقوم **التصور الماركسي** على اهتمام خاص بالعلاقة بين الأدب والمجتمع، نابع من فهم مادي للواقع الاجتماعي، إذ لا ينظر إلى المجتمع بوصفه مجرد مجموعة من المؤسسات أو القيم المجردة، بل باعتباره بنية مادية تقوم على شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تربط بين أفراده، وتتشكل من خلالها المصالح المتباينة، وتتداخل فيها العادات والتقاليد والدين واللغة. ويرى **ليون تروتسكي** أن الماركسية في جوهرها تُعد "**منهجا في التحليل، ليس تحليل النصوص، وإنما تحليل العلاقات الاجتماعية**".[1] ويؤدي هذا التباين في المصالح إلى نشوء صراع طبقي يُعد المحرك الأساسي للتاريخ والتطور الاجتماعي.

كما ترى **الماركسية** أن بنية المجتمع تقوم على مستويين أساسيين: "**البنية التحتية وتُسمى عادة بالاقتصاد، تتكون من قسمين هما: قُوى الإنتاج أي البشر المنتجون، وأدوات الإنتاج أي الوسائل التي يمتلكها المجتمع للإنتاج مثل الأراضي ومصادر الثروة المختلفة والحيوانات والآلات التكنولوجية...الخ. وتشكّل العلاقة بين قوى الإنتاج وأدوات الإنتاج ما يُسمى بعلاقات الإنتاج، وهي التي تشكّل الملامح العامة لنمط الإنتاج في كل مرحلة من مراحله: المشاعية، والعبودية، والاقطاعية، والرأسمالية، والاشتراكية. والبنية الفوقية التي تشمل المؤسسات السيّاسية والتّشريعية والتّنفيذية والتّعليمية والإعلامية والدّينية، كما تشمل أنساق**

[1] جون مولينو، ما هو التراث الماركسي الحقيقي، ص14.

القيم والعادات والأخلاق والتقاليد والفنون والعلوم والآداب."[1] وهذا ما يدل على أن البنية الفوقية تتأثر في جوهرها بالبنية الاقتصادية التي تُعد المحدد الرئيسي الذي تنبني عليه باقي البنيات.

وترتكز **الماركسية** كذلك على مبدأ المادية الجدلية، الذي يؤمن بأن التطور يحدث نتيجة صراع التناقضات، لا وفق مسار ميكانيكي ثابت، إذ لا يمكن فهم الواقع إلا بوصفه حركة مستمرة قائمة على التأثير والتأثر. وعلى الرغم من إقرار بعض النصوص الماركسية بوجود تفاعل بين المادة والوعي، فإنها تؤكد في الغالب أولوية المادة، باعتبار أن الوعي يضل انعكاسا لها في نهاية التحليل، دون أن توضّح أن هذا الأمر خاص بلحظة البداية والتطور، وليس انعكاسا آليا مطلقا.

4-2: نقاد الانعكاس:

لقد تجلّت رؤية **نقاد الانعكاس** من الماركسيين الأوائل، أمثال **جدانوف وبيلخانوف**، بوضوح في كتاباتهم بعد **الثورة السوفييتية عام 1917**، حيث ألح هؤلاء على ضرورة أن يكون الأدب مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي، وملتزما بقضايا الطبقة العاملة وصراعاتها. وبناءً على هذا المنظور، أُعطيت الأولوية للمضمون الاجتماعي على حساب الشكل الفني، فأصبح الشكل مجرد وسيلة لتجسيد المضمون (الرسالة الاجتماعية) داخل العمل الأدبي. وفي هذا السياق يؤكد ذلك **بيلخانوف** بقوله: **"بصفتي نصيرا للتصور المادي للعالم سأقول إن الواجب الأول للناقد يكمن في ترجمة فكرة ذلك النتاج من لغة الفن إلى لغة علم الاجتماع، أي تحديد ما يمكن أن نسميه المعادل السوسيولوجي للظاهرة الأدبية".**[2] ويؤكد هذا الطرح أن أول ما ينصرف إليه الناقد هو البحث عن المدلول الاجتماعي في العمل الأدبي، حيث تتمثل مهمته في الكشف عن جوهره الفكري من خلال تحليل مضمونه، وقياس مدى قدرة الكاتب على تجسيد قضايا الواقع وحركية الصراع الطبقي في عمله الأدبي.

---

[1] سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص22.

[2] جورج بليخانوف، الفن والتصور المادي للتاريخ، ت: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1977م، ص159.

➢ **جورج لوكاتش:**

وانطلاقا من التصور الماركسي في دراسة الأدب، برز مجموعة من النقاد الذين سعوا إلى توظيف هذا المنهج في تحليل النصوص الأدبية، ويأتي في مقدمتهم **جورج لوكاتش (1885-1970)**، الذي يُعد من أبرز منظري الأدب الماركسي، فقد ركزّ في تصوره على مفهوم الواقعية، معتبرا أن الكاتب الأصيل هو من يستطيع الغوص في أعماق الواقع، من خلال إدراك جوهر التناقضات الاجتماعية وتجسيدها فنّيا، بدل الاكتفاء بعرض مظاهرها الخارجية.

كما شدّد على مفهوم "**النّمط**"، الذي لا يقصد به الشائع أو المألوف، بل هو تعبير عن الخصائص العامة التي تعكس طبيعة المجتمع في لحظة تاريخية معينة. فيمكننا القول إن الصورة النمطية عند لوكاتش ترتبط بقدرة الأدب على تصوير الواقع الاجتماعي بنظرة كلية شاملة تتضمن علاقة الفرد بالمجتمع وتطور هذه العلاقة تاريخيا دون اهمال الجانب الجمالي للأدب.

وبناءً على ذلك، ارتبطت الواقعية عند **لوكاتش** ارتباطا وثيقا **بالرواية**، إذ اعتبرها الشكل الأدبي الأقدر على تمثيل الواقع الاجتماعي، خاصة في ظل المجتمع الحديث الذي ينشغل فيه الفرد بالبحث عن المعنى الملحمي المفقود داخل عالم تسوده التناقضات والتفكك. ومن هذا المنطلق، تصبح الرواية تعبيرا عن فقدان الانسجام الذي ميّز المجتمعات القديمة، وهو ما يجعلها في نظره مرآة صادقة للتحولات التي يعرفها المجتمع البورجوازي. ويؤكد ذلك من خلال تعريفه لها بأنها: "**الشكل الأدبي الأكثر دلالة في المجتمع البورجوازي**"[1]، وبذلك تُعدّ الرواية فنا مرتبطا ارتباطا وثيقا بهذا المجتمع، إذ تجسّد خصوصياته وتعبّر عن أوضاعه وتناقضاته، وهو ما يميزها عن الملحمة. وقد أشار إلى ذلك المؤلف بقوله: "**إن الرواية ملحمة عالم بدون آلهة**"[2]، فهي تُعد تمثيلا لعالم حديث مفكك

[1] جورج لوكاتش، نظرية الرواية وتطورها، ت: نزيه الشوفي، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، د.ط، 1987م، ص15.

[2] سيد البحراوي، علم اجتماع الادب، ص24.

ومعقد، يعيش فيه الإنسان اغترابا وبحثا دائما عن المعنى، عكس عالم الملحمة القديمة الذي كان منسجما ومؤطرا بقيم واضحة.

وعليه، فإن هذا التصور الماركسي عند **لوكاتش** لا يمكن فصله عن جذوره الفكرية السابقة، التي تعود إلى بعض مفكري القرن الثامن عشر، وعلى رأسهم "**آدم سميث**" (**1723–1790**) و"**آدم فيرجسون**" (**1723–1816**)[1]، اللّذان قدّما إرهاصات مهمة لعلم اجتماع الأدب من خلال تنبيههما لخطورة تقسيم العمل وأثره في تفكيك الوحدة العضوية بين البشر. وقد مهّد هذا الانشطار الاجتماعي لظهور مفهوم "**الاغتراب**" (**Alienation**) كما صاغه **ماركس**، والذي فسّره المفكر **ريتشارد شاخت** بقوله: "**إن الأصل اللاتيني لكلمة اغتراب هو Alienato يستمد معناه من فعل Alienare بمعنى تحويل شيء ما لملكية شخص آخر أو الانتزاع أو الإزالة**"[2]. ويُعدّ هذا الاغتراب السبب الرئيسي في فقدان العلاقات العضوية بين البشر، وقد عبّر عنه **ماركس** قائلا: "**إن تقسيم العمل داخل أمة ما يقود أولا إلى انفصال العمل الصناعي والتجاري عن العمل الزراعي، وبالتالي يؤدي إلى انفصال الريف عن المدينة والتصارع بين مصالحهما ... وفي الوقت نفسه، ومن خلال تقسيم العمل داخل مختلف هذه الفروع تتطور تقسيمات مختلفة بين الأفراد المتعاونين في أنواع محدّدة من العمل**"[3]. ومن خلال هذا القول، يتضح أن تقسيم العمل يؤدي إلى تفكيك العلاقات الاجتماعية العضوية بين الأفراد، وتحولها إلى علاقات مصلحية قائمة على الانفصال والتخصص، هو ما يجعل الانسان منقطعا عن الأنشطة الاجتماعية، ويعمّق حالة الاغتراب داخل المجتمع الحديث.

---

[1] المصدر نفسه، ص25.

[2] نعيمة وابل، الاغتراب عند كارل ماركس، دراسة تحليلية نقدية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار–الجزائر، 1443هـ/2013م، ص5.

[3] كارل ماركس وفريدريك انجلز، المادّية التاريخية، ت: حنا عبود، مختارات فلسفية، دار الفرابي، بيروت، 1975، ص19.

ونجد نفس التصور عند **هيغل** (**1770–1831**)، حيث يُعد الاغتراب عنده "**فقدانا للعلاقات الجماعية الحميمة التي تميزت بها الملحمة**"[1]. وانطلاقا من ذلك توصل إلى أن العصر الحديث لم يعد عصر الملحمة، وإنما عصر الرّواية، لأنها الشكل الأدبي الوحيد القادر على عكس تفكك العالم وانشطاره.

وانطلاقا من ذلك، يتضح لنا أن تقديم **لوكاتش** لعنصر الرواية هو مستمد مثل بقية عناصر نظريته من المفاهيم الهيغلية، لأن الرواية عند **هيغل** هي "**ملحمة البرجوازية الحديثة وهي تظهر الفجوة بين الفرد والعالم، وتفترض واقعا قد أصبح نثريًّا**"[2] ومن خلال ذلك يتجلى بوضوح الانفصال بين الفرد والعالم.

وفي الإطار نفسه، يتعمّق تصور **جورج لوكاتش** للرواية من خلال تأثره بالفلسفة الهيغلية، غير أنه يعيد صياغتها ضمن أفق ماركسي، إذ لا يقتصر تحليله على مضمون الرواية فحسب، بل يمتد ليشمل بنيتها الشكلية، معتبرا أن الشكل عنصرا أساسيا في الكشف عن الحقيقة الاجتماعية. ومن هنا، يبرز مفهوم **البطل الاشكالي** الذي يجسّد حالة التمرّد والبحث الدائم عن معنى مفقود داخل عالم لا ينسجم مع طموحاته، وهو ما يعكس أزمة الإنسان الحديث واغترابه عن محيطه.

وفي هذا الصدد، يمكن إبراز بعض السمات التي ينفرد بها **لوكاتش** مقارنةً ببعض النقاد، مثل **بيلخانوف**، حيث يرفض التفسير الانعكاسي الآلي للأدب، الذي يختزله في كونه مجرد مرآة تعكس الواقع الاجتماعي بشكل مباشر. ففي حين يرى **بيلخانوف** أن الأدب انعكاسا مباشرا للبنية الاجتماعية، يؤكد **لوكاتش** أن العلاقة بين الأدب والواقع أكثر تركيبا وتعقيدا، ولا تقوم على النقل الحرفي، بل تمر عبر وسائط فنية وجمالية. ومن هنا يطرح مفهوم **رؤية العالم** بديلا عن فكرة الانعكاس البسيط، وهو مفهوم يرتبط بالعلاقة الإشكالية بين البنيتين التحتية والفوقية، فهو

[1] سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص25.

[2] المصدر نفسه، ص25.

"كمصطلح يتميّز عن مصطلح الأيديولوجيا حيث لا يعني نسق الأفكار المباشرة، وإنما يتضمّن أيضا المشاعر والأحاسيس والتفضيلات.. إلخ"[1]. وهو ما يدلّ على أن العمل الأدبي لا يقتصر على نقل الواقع في صورته الظاهرة، بل يعكس وعيا جماعيا مركبا تتداخل فيه الأبعاد الفكرية والوجدانية، بما يمنحه قدرة أكبر على استيعاب البنية العميقة للمجتمع وكشف تناقضاته داخلية، متجاوزا بذلك مستواه السطحي.

وعلى هذا الأساس، يرى المؤلف أنه لا يمكن مقاربة **جورج لوكاتش** بالمنظور نفسه الذي يُنظر به إلى **بيلخانوف**، لأنه يتجاوز فكرة الانعكاس المباشر للأدب، ويقدّم تصورا أكثر تركيبا يجعل من **رؤية العالم** والبناء الجمالي وسيلة لإعادة إنتاج الواقع فنيا بدل الاكتفاء بنقله بشكل المباشر.

- **لوسيان غولدمان:**

لقد واصل **لوسيان غولدمان** (**1913–1970**) الطرح النقدي الذي قدّمه **جورج لوكاتش**، حيث عمل على تطويره وتعميقه ضمن إطار منهجي أكثر دّقة وتنظيما، عُرّف **"بالبنيوية التوليدية"**، والذي يُعد من أبرز مناهج علم اجتماع الأدب. وهو عبارة عن **"دراسة سوسيولوجية تكشف عن العلاقة الجدلية بين البنى العقلية في الظاهرة الأدبية والبنى الاجتماعية"**[2]، حيث يقوم هذا المنهج على تجاوز النظرة الاختزالية التي تربط الأدب بالمجتمع ربطا مباشرا، من خلال البحث في البنى العميقة التي تحكم العمل الأدبي وربطها بالبنية الاجتماعية التي ينتمي إليها الكاتب.

وينطلق **لوسيان غولدمان** من فرضية أساسية مفادها أن **"النص الأدبي بنية أصغر تتولد عن بنية أكبر، هي البنية الاجتماعية، وهي الطبقة أو الجماعة التي ينتمي إليها الأديب"**.[3] ومن خلال هذا القول يتضح لنا أن العمل الأدبي لا يعبّر عن وعي فردي معزول، بل يجسّد **رؤية العالم**

---

[1] سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص27.

[2] بثينة طالب ونسرين عيساوي، دراسة سوسيولوجية في رواية يوم رائع للموت لسمير قسيمي، مذكرة ماستر، جامعة 8 ماي 1945- قالمة، 2021/2020، ص25.

[3] سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص28.

تعبر عن وعي جماعي تشترك فيه فئة أو طبقة اجتماعية معينة. ولا تقتصر هذه الرؤية على الأفكار المباشرة، بل تشمل أيضا التمثلات الذهنية والأصوات والأحاسيس التي تتشكّل داخل سياق اجتماعي وتاريخي محدّد، لتتجسد داخل النص الأدبي في بناء فني متماسك. وفي هذا السياق، يعرّف **غولدمان** رؤية العالم بأنها: "**الجانب الدلالي المتمثل في قدرة هذه الرؤية على احتواء الوعي الطبقي في مستوياته العقلي والنقدي والسياقي**".[1] وهذا يعني أن رؤية العالم تمثل شكلا من أشكال الوعي الجماعي الذي يعكس الواقع الاجتماعي في أبعاده الفكرية والنقدية داخل العمل الأدبي.

ولتحليل العمل الأدبي وفق هذا التصور، يميّز **غولدمان** بين مرحلتين أساسيتين: تتمثل المرحلة الأولى في "**الشرح**" **(Explication)**، حيث يتم تحليل العمل الأدبي من الداخل، عبر تفكيك بنيته والكشف عن عناصره الدالة وعلاقاته التركيبية، قصد الوصول إلى بنيته العميقة. أما المرحلة الثانية فتتمثل في "**الفهم**" **(comprehension)**، وفيها يتم ربط هذه البنية المكتشفة بالبنية الاجتماعية الأوسع، أي برؤية العالم الخاصة بالجماعة التي ينتمي إليها المبدع. وبذلك، لا يُنظر إلى النص بوصفه كيانا مستقلا، بل باعتباره بنية دالة تعكس بشكل غير مباشر البنية الذهنية والاجتماعية لجماعة معينة.

ومن هذا المنطلق، تصبح "**رؤية العالم**" عند **غولدمان** بمثابة وسيط يربط بين البنية التحتية (القوة الاجتماعية) والبنية الفوقية (العمل الأدبي)، دون أن تقوم العلاقة بينهما على انعكاس آلي مباشر، بل على تفاعل معقد يتجسّد عبر وسائط فنية وجمالية. وقد وصفها المؤلف بأنها: "**رؤية الجماعة التي يقوم الفنان ببلورتها وتحويلها من وعي قائم لدى الجماعة إلى وعي ممكن في عمل الفنان**".[2] كما يركّزّ غولدمان على البنية الذهنية للجماعة، باعتبارها الإطار الذي تتشكل داخله الأعمال الأدبية، وهو ما يجعل النص الأدبي تعبيرا عن تجربة جماعية تاريخية، لا مجرد تعبيرا فرديا ذاتيا.

---

[1] جون هال، مقالات ضد البنيوية، ت: إبراهيم خليل، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1986، ص42.

[2] سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص28.

وانطلاقا من هذا التصور الذي يجعل من **رؤية العالم** وسيطا محوريا بين البنية الاجتماعية والعمل الأدبي، سعى **لوسيان غولدمان** إلى توسيع مجال تحليله ليشمل **الرواية**، بهدف تحقيق نتائج أكثر دقة ضمن إطار علم اجتماع الأدب. وفي هذا السياق، أقام **تماثلا بنيويا** بين بنية الرواية وبنية المجتمع الرأسمالي، وذلك من خلال تطويره لمفاهيم **جورج لوكاتش** حول الرواية، مستفيدا في ذلك من أعمال **جيرار "الحقيقة الروائية والكذب الرومانسي"**[1]، حيث يرى أن الرواية تعبّر عن بحث فرد منحدر عن قيم أصيلة داخل عالم منحدر. فالقيم الأصيلة تمثل ما يُعرف بـــــ "**قيم الاستعمال**" **(Use Values)** التي تقوّم الأشياء لذاتها، في حين تمثل القيم المنحدرة "**قيم التّبادل**" **(Exchange)** التي لا تقدر فيها الأشياء إلا بما تعادله من قيمة مالية، وهي القيم التي يفرضها قانون السوق الرأسمالي، وفي هذا الإطار، يتخذ المال الدور الوسيط الرئيسي بين الانسان والسّلع، بل بين الانسان ونفسه، وهذا ما يؤدي إلى تفاقم ظاهرتي الاغتراب والتشيؤ.

وهذا ما ينعكس فنيا في ظهور "**البطل الإشكالي**"، الذي يحاول التمسك بالقيم الإنسانية داخل عالم يسوده التشيؤ. وقد تتبّع **غولدمان** تطور هذا البطل توازيا مع مراحل الرأسمالية. إذ انتقل من وضعية المقاومة إلى التلاشي، خاصة مع تطور الرأسمالية الاحتكارية وتزايد تدخل الدولة، ليتحول من فرد فاعل إلى بطل مستسلم أو غائب تماما كما في نماذج الرواية الجديدة.

ورغم ما قدّمته هذه المقاربة من إسهام في تطوير سوسيولوجيا الأدب، إلا أنها تعرّضت لانتقادات حادّة بسبب تركيزها المفرط على المضمون الفكري والشخصية البطل، مقابل إهمال نسبي للجوانب الجمالية والبناءات اللغوية والسردية، وهذا الأمر الذي جعلها في بعض القراءات تبدو قريبة من التصور الانعكاسي، رغم سعيها إلى تجاوزه.

[1] المصدر نفسه، ص29.

4-3: الانعكاس في النقد العربي:

لقد شكّل الفكر الماركسي إحدى أهم المرجعيات المعرفية التي أثّرت بعمق في مسار النقد العربي الحديث، حيث كان له عظيم الأثر في تحويل مسار الدراسات الأدبية من التحليل الجمالي الصرف إلى مقاربات تربط النص الأدبي بسياقاته الاجتماعية والطبقية. وفي ضوء هذا التأثر المباشر، برز في الساحة النقدية العربية ما يُعرف **بالتيار الواقعي**، الذي تبنى نظرية الانعكاس كأداة تحليلية أساسية لقراءة النص الأدبي بوصفه انعكاسا للواقع المادي والصراع التاريخي. وفي هذا السياق، يؤكد **عبد العظيم أنيس** هذا التصور بقوله: "**إن الأدب نتاج اجتماعي ما في ذلك ريب. فالأديب نفسه وليد البيئة التي نشأ فيها وترعرع في أحضانها. إنه ليس بالمخلوق الذي ظهر فجأة وسط غابة عذراء ليختار أن يكون أديبا. ومن المسلم به اليوم أن صور الأديب وخياله ومشاعره ومزاجه الفكري مستمدة من واقع المجتمع الذي نشأ فيه**".[1] يوضح لنا هذا القول أن الأدب لا ينشأ من فراغ، بل يرتبط ارتباطا وثيقا بالواقع الاجتماعي الذي يعيشه الأديب، حيث تتشكل أفكاره ومشاعره ورؤاه في إطار هذا الواقع، مما يجعل العمل الأدبي تعبيرا عن قضايا المجتمع وتحولاته.

لقد تبلور هذا التيار بشكل واضح خلال الأربعينيات والخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، وهي مرحلة تميّزت بتصاعد النّضال الوطني ضد الاستعمار وانتصار حركات التحرر في العالم العربي. وفي هذا السياق برز عدد من الرواد الذي أسهموا في تدعيم هذا التوجه النقدي، من أبرزهم **حسين مروة** في لبنان و**محمود أمين** العالم في مصر، إضافة إلى **شوقي ضيف** الذي مثّل هذا التوجه في دراساته الأدبية.

وقد تميّز هذا التيار بتحول منهجي مهم، تمثّل في الانتقال من المنهج البيئي التقليدي الذي انحصرت فيه الوضعية قديما إلى منهج أوسع يربط النص الأدبي بالبنية الاجتماعية والصراع

[1] محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس، في الثقافة المصرية، منتدى سور الأزبكية، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ط3، د.ت، ص31.

السياسي. فالأدب لم يعد مجرد وصف للبيئة الجغرافية، بل أصبح يُنظر إليه كمرآة تعكس الواقع الاجتماعي وتطلعات الشعوب نحو الحرية والعدالة.

ورغم سعي هذا التيار الماركسي العربي إلى بناء منهج اجتماعي أكثر علمية لرد الظواهر الأدبية إلى جذورها في التركيب الاجتماعي المتصارع، إلا أنه واجه انتقادات حادّة، ويرى المؤلف أن من أخطرها هو هيمنة الأثر الهيغلي على مقولاته النقدية. فقد أدّى هذا الامتداد إلى انشغال بعض نقاد العرب بالمضمون على حساب خصوصية البناء الفني للنص الأدبي، مما جعل نقد الخمسينيات والستينيات يقع في خلط منهجي بين الواقعية وبين بقايا الرؤية الرومانسية الوضعية التي لم تكن قد تلاشت بعد. هذا التذبذب جعل الممارسة النقدية تفتقر إلى الصرامة العلمية، حيث تشتتت الجزئيات في ثنايا النصوص دون رابط بنيوي متين، قبل أن تشهد مرحلتا السبعينيات والثمانينيات محاولة لتجاوز هذا القصور من خلال استلهام منهج لوسيان غولدمان خاصة في دراسة الرواية والشعر العربي.

وقد امتد هذا التأثير إلى عدد من الدراسات التطبيقية في النقد العربي الحديث، حيث برزت أعمال روائية مهمة، من بينها دراسات **محمد رشيد ثابت** حول "**حديث عيسى بن هشام**"، ودراسات **محمد بدوي** حول "**الرواية المصرية في الستينيات**" إلى جانب اسهامات **يمنى العيد** وغيرها من الباحثين، كما لم يقتصر هذا التوجه على الرواية فقط، بل امتد الأثر إلى الشعر من خلال دراسة **الطاهر لبيب** في "**سوسيولوجيا الغزل العربي**".

وفي هذا السياق نفسه، ظهرت محاولات نقدية سعت إلى الجمع بين السوسيولوجية والبنيوية في تحليل النصوص الروائية والأيديولوجية، كما في أعمال **حميد لحميداني** مثل "**دراسة سوسيولوجية بنائية لرواية المعلّم علي**" و "**الرواية والأيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي**"، وغيرها من الأعمال.

وبالرغم من هذا التطور الذي عرفته التجربة النقدية العربية المعاصرة، إلا أنها قد وقعت في عدد من الإشكالات المنهجية. يتجلّى أولها في **الفهم التبسيطي** والوقوع في **الفهم الخاطئ** لبعض مفاهيم غولدمان، سواء نتيجة ضعف الترجمة أو غموض المصطلحات النظرية. أما الاشكال الثاني وهو الأعمق، فيتمثل فيما يمكن تسميته **بالتلفيق المنهجي**، حيث سعى بعض النقاد إلى مزج مفاهيم **غولدمان** بمناهج نقدية أخرى بشكل غير مدروس، في نوع من التوفيق، مما أفضى إلى تلفيق منهجي يفتقر إلى الانسجام، لعدم مراعاة خصوصية كل مفهوم وحدوده داخل نسقه العام.

4-4 مدرسة فرانكفورت: جماعة ألتوسير

يُسجَّل على بعض النقاد الاجتماعيين انحصارهم في التصور الهيغلي/ اللوكاتشي للماركسية، وهو ما قاد إلى تبسيط العلاقة بين الأدب والمجتمع، وإهمال الطابع المركب للصراع الاجتماعي. ولمواجهة هذا التصور، برزت أطروحات **"مدرسة فرانكفورت" 1923** لتعيد صياغة هذه العلاقة، إذ لم تعد تنظر إلى الأدب بوصفه انعكاسا مباشرا للواقع أو ترجمة للأيديولوجيا، بل كما أشار **تيودور أدورنو**: هو **"نفي يتسم بمقاومته للأيديولوجيا وللفلسفة وللفكر المفهومي"**[1]، أي أنه أصبح خطابا نقديا يحمل بعدا سلبيا تجاه الأنساق الفكرية السائدة، ويرفض إخضاع العمل الأدبي لوظيفة نفعية أو لآليات السوق.

وفي السياق نفسه، قدّم المفكّر والفيلسوف الفرنسي المعاصر **"لوي ألتوسير"** إلى جانب جماعته، ومنهم **"بيير ماشري"** و**"رينيه"** و**"إتيان باليبار"** و**"تيري إيجلتون"** تصورا أكثر تعقيدا لعلاقة الأدب بالأيديولوجيا، إذ لم يعد الأدب يُفهم باعتباره مرآة للتماسك الظاهري للأيديولوجيا، بل أصبح فضاءً يكشف تناقضاتها الداخلية ويفضح بنيتها. ويرى المؤلف أن هذه الفكرة صحيحة دون شك فيما يختص بالأعمال الأدبية و الفنية والنقدية، لكنها لا تنطبق على كل عمل أدبي، وهو ما يُبرز نوعًا من التناقض داخل هذا الطرح نفسه، ويتجلى ذلك عند **ألتوسير** حين اعتبر أن **"النشاط**

[1] سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص32.

الأدبي جزءًا من الأجهزة الأيديولوجية للدولة".[1] كما يظهر عند **ماشرى** الذي يرى أن "**الأدب قبل كل شيء نشاطا أيديولوجيا".**[2] ويُقصد بذلك الأدب المؤسَّسي في إطار النظام الرأسمالي، حيث يوجه الإنتاج الأدبي لخدمة بنيته وألياته.

كما يقوم هذا التصور على إعادة النظر في العلاقة بين البنية التحتية والبنية الفوقية، بحيث لا تُختزل في علاقة سببية أحادية، وقد حدّد ذلك **ألتوسير** في مقالته "**البنية ذات الهيمنة والتضافر**" حيث يوضّح أن هذه العلاقة تُفهم بوصفها علاقة جدلية مُركبة، تتيح لبعض المكونات البنية الفوقية كالأدب والفن، هامشا من الاستقلال النسبي والقدرة على التأثير حتى في الاقتصاد ذاته. غير أنه في الآن نفسه يعود ليؤكد أن العامل الحاسم الذي يتيح لهذه العناصر هذه الفرصة هو الوضع الاجتماعي الاقتصادي، وكأنه بذلك يتراجع عما قرّره سابقا، حين يرتّد إلى المقولة التقليدية التي ترى أن الاقتصاد هو المؤثر في نهاية المطاف.

وقد أفرز هذا التناقض نوعا من الغموض النظري في مواقف أنصار ألتوسير، خاصة في تعاملهم مع موقع الأدب داخل الأجهزة الأيديولوجية للدولة. لكن ومع ذلك، فإن إسهام هذه الجماعة يضل بالغ الأهمية في ميدان علم اجتماع الأدب، نظرا لتجاوزها هيمنة التصور الهيغلي القائم على العلاقة الأحادية بين الأدب والأيديولوجيا والمجتمع، وترسيخها لفكرة الوسائط بوصفها عنصرا أساسيا في تحليل هذه العلاقة. غير أنه، رغم الاستفادة الواضحة من البنيوية، ضلّ التحليل منصبا أساسا على مضمون الأعمال الأدبية أكثر من اهتمامه بخصوصياتها الشكلية.

ومن اللافت أن أحد أهم إنجازات هذا التيار الماركسي الحديث، تمثل في تقاطعه مع بعض المنطلقات الشكلانية والبنيوية، بل واقترابه إلى حد كبير من توجهات ما بعد البنيوية والمتمثلة في التفكيكية (Deconstruction) ونظريات القراءة والتلقي، خاصة في إعادة النظر في مفهوم الأدب

[1] سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص33.

[2] المصدر نفسه، ص33.

ونفي طابعه الثابت، وهو ما يضفي إلى التشكيك في الخصائص الجوهرية التي تجعل العمل الأدبي أدبا.

وفي إطار تعميق هذا النقاش، يشير **تيري إيجلتون** في مقدمة كتابه **"مقدمة في نظرية الأدب"** إلى أن مفهوم الأدب ليس معطى ثابتا أو نهائيا، بل يتحدّد تاريخيا واجتماعيا وفق ما تفرضه الأيديولوجيا المهيمنة، التي تحدّد ما يُعترف به كأدب وما يُقصى منه، غير أن هذا التصور على الرغم من أهميته، قد يُفضي إلى نوع من النسبية التي تنفي وجود حقيقة موضوعية مستقرّة للأدب.

وعلى الرغم من تباين هذه الرؤى، فإنها قد أسهمت مجتمعة في تطوير الفكر الماركسي، من خلال تجاوز الطرح الانعكاسي المباشر، وتعزيز فكرة الوساطة وتعقيد الصلة بين الأدب والمجتمع. حيث يشير المؤلف إلى أن أفكار ألتوسير وجماعته بتطوراتها المختلفة، قد تركت أثرا واضحا في الفكر العالمي المعاصر، بما فيه الفكر العربي، غير أن تطبيق هذه التصورات في النقد الأدبي العربي ظل محدودا، إذ بقي تأثيرها أوضح في مجالي الفلسفة والفكر السياسي أكثر من تجلياتها في التحليل الأدبي التطبيقي.

وفي الختام، يمكن القول إن هذه التحولات النظرية، رغم أهميتها، قد مهدّت لظهور اتجاهات نقدية لاحقة، خاصة ما بعد البنيوية والتفكيكية التي أعادت النظر في مفهوم الأدب ووسّعت من أفاق قراءته، مما يعكس استمرار تطور العلاقة بين النص الأدبي وسياقاته الاجتماعية والفكرية.

5/ تلخيص الفصل الثالث: الأمبريقية ودراسات جمهور الأدب

يعالج الكاتب في هذا الفصل إشكالية **المنهج الأمبريقي (التجريبي)** في علم اجتماع الأدب بوصفه مقاربة تسعى إلى دراسة الأدب باعتباره فعلا اجتماعيا خاضعا للتحليل، وهو المنهج الذي يراه علماء الاجتماع السبيل الأنسب لفهم الظاهرة الأدبية بعيدا عن التحليلات الجمالية الصرفة أو التأملات الفلسفية المجردة، نظرا لاعتماده على أدوات إجرائية دقيقة كالإحصاء والاستبيان وتحليل المضمون.

وفي هذا السياق، يُعرّف التوجه الأمبريقي بكونه توجيها للبحث الاجتماعي نحو العمل الميداني أو التطبيقي، أي اعتماد الباحث على الملاحظة لجمع الحقائق والبيانات، إلى جانب استخدام التجربة بوصفهما أداتين أساسيتين لاختبار الفروض في ضوء أطر نظرية محددة.[1] وعليه، يتضّح أن هذا المنهج يقوم على دراسة الظواهر الاجتماعية انطلاقا من الواقع الملموس، من خلال توظيف الملاحظة والتجربة في جمع المعطيات واختبار الفرضيات، بما يضمن طابعا علميا ومنهجيا للدراسة.

غير أن المؤلف يشير إلى أن هذا المنهج، على الرغم من طابعه العلمي ودّقته، قد تعرّض لانتقادات حادّة، ذلك لكونه لم يتمكن من النفاذ إلى جوهر النص الأدبي كبنية قائمة بذاتها، بل ظلّ يدور في محيطه، ويتعامل معه ككتاب أو كشيء أو كسلعة داخل السوق الرأسمالي. ويتضح هذا التوجه في أعمال بعض الاتجاهات الأمبريقية، مثل **مدرسة بوردو** التي يديرها **روبير إسكاربيت**، أو دراسات **سيلبرمان** و**فوجن** في ألمانيا، بالإضافة إلى **روز نجرين** في السويد وغيرها من الدراسات، حيث انصبّ الاهتمام على تحليل الفعل الاجتماعي المتبادل، وقد أوضح **فوجن** هذا التصور بقوله "**إن مادّة أو موضوع أبحاث علم الاجتماع هي الفعل الاجتماعي، أي الفعل المتبادل بين الذوات.**"[2] ويعني ذلك أن العمل الأدبي يُفهم وفق هذا المنظور، من خلال هذا التفاعل الاجتماعي فقط، دون النظر إليه كظاهرة جمالية مستقلة بذاتها.

وتكمن خطورة هذا التصور في كونه يهمل تماما الطبيعة الاجتماعية العميقة لكل من المجتمع والأدب معا، إذ يحصر وظيفة الأدب في كونه مجرد سلعة قابلة للتداول، الأمر الذي يؤدي إلى تشييئه وإفراغه من خصوصيته الفنية، وهو ما يفسر حدّة التعارض القائم بين هذا التوجه الأمبريقي والرؤية الماركسية للأدب. ومع ذلك، يؤكد المؤلف أنه لا يمكن لأي دارس لعلم اجتماع الأدب

[1] ينظر، نوري محمد أحمد شقلابو، أزمة الأمبريقية في علم الاجتماع، جامعة الزاوية، قسم علم الاجتماع، ليبيا، 2019م، ص3.

[2] سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص37.

سواء أكان موضوعيا أو محايدا، أن يتجاهل النتائج المهمة التي حققها هذا المنهج في دراسة النشاط الأدبي، وهو ما يتجسد بوضوح في أعمال **مدرسة بوردو** خصوصا في كتاب "**سوسيولوجيا الأدب**" (**1958**) **لروبير إسكاربيت**، حيث قدّم تصورا منهجيا لدراسة الأدب من خلال ثلاثة أبعاد متكاملة: **الإنتاج والتوزيع والاستهلاك**.

ففي مستوى **الإنتاج**، اهتم **إسكاربيت** بسوسيولوجيا الكاتب، متناولا مفهوم "**الجيل الأدبي**" ومتسائلا عما إذا كان هذا المصطلح دقيقا وصالحا للاستخدام، لينتهي إلى أن مصطلح "**الفريق الذهبي**" قد يكون أكثر دّقة منه. ثم انتقل لمعالجة الوضع الاقتصادي للمؤلف، مبرزا التحول الذي عرفه الأديب من مرحلة الرعاية البلاطية القديمة إلى مرحلة الاحتراف والاعتماد على جمهور القراء في ظل انتشار الطباعة. ثم انتقل إلى تحليل عملية **التوزيع**، مسلطا الضوء على الدور المحوري لـــــ "**الناشر**" بوصفه صانع قرار ومتحكم في توجيه الذوق القراء، إلى جانب دور النقاد والوسطاء في نقل النصوص من النخبة المثقفة إلى عموم القراء.

أما فيما يتعلق **بالاستهلاك** فقد عالج المؤلف مسألة "**جمهور الأدب**"، مؤكدا أن الكتابة فعل موجّه إلى جمهور مفترض يؤثر في كل من المبدع والناشر على حد السواء، كما أبرز الدور القوي الذي يمارسه الجمهور، أي المجتمع في توجيه الأنواع الفنية والأساليب مشيرا في ذلك إلى قول **بوقون** المشهور: "**إن الأسلوب ليس هو الإنسان فقط، بل إنه المجتمع أيضا.**"[1] ويُقدّم نماذج متعددة حول هذه المسألة. لكن ومع ذلك فإن المؤلف يشدّد على ضرورة التمييز بين النجاح الجماهيري والنجاح الفني، ليخلص في النهاية إلى أن الهدف الأساس لهذا المنهج هو نزع القداسة عن الأدب وتحويله من أسطورة منعزلة إلى حوار حي ومتجدّد بين المبدعين ومجتمعهم عبر الزمن، إذ اختتم كتابه بقوله: "**يجب أن نترع عن الأدب صفة القداسة، ونحرّره من محرّماته الاجتماعية بنفوذنا إلى سرِّ قوته. وعندئذ قد يصير مستطاعا ليس أن نصنع تاريخ الأدب من جديد، بل**

[1] سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص39.

تاريخ الناس في المجتمع استنادا إلى حوار مبدعي الكلام، والأساطير، والأفكار مع معاصريهم وذرّيتهم، هذا التاريخ الذي ندعوه أدبا."[1] ويكشف هذا التصور عن تحوّل نوعي في النظر إلى الأدب، من كونه بنية مغلقة إلى كونه ممارسة اجتماعية تفاعلية، وهو ما مهّد لتوسيع أفاق البحث في علم اجتماع الأدب.

وبعد عرضه لهذه الثلاثية، واصل **إسكاربيت** وتلاميذه دراسة هذه العناصر بتوسيعها وإدماج عناصر أخرى كما يتضح من كتابهم "**الأدبي والاجتماعي**" (**1970**)، حيث حدّد فيه مفهوم الأدب بوصفه **ظاهرة اتصالية** تقوم على تفاعل معقّد بين الكاتب والقارئ داخل مؤسسة أدبية تحكمها آليات الاختيار والتوجيه والتراتب، مثل اختيار الناشر، توجُّه المكتبات، أحكام النقاد، والاختيارات الجامعية للنصوص.

وفي هذا الإطار، تتحدد عناصر الدراسة السوسيولوجية للأدب وفق ثلاث زوايا رئيسية هي: **المشروع** أي العمل في طور الإنجاز، **والوسيط** حين يتحول العمل إلى كتاب متداول، **والاجراء** أي عملية القراءة والتلقي. ومن خلال هذه المستويات، تنفتح الدراسة على تحليل قضايا متعدّدة، حيث يقدّم **إسكاربيت** دراسات تفصيلية حول نجاح العمل الأدبي أو فشله، واستمراره أو اندثاره، إضافة إلى تحليل علاقته بالتطور الاجتماعي والثقافي. ثم يقدّم **روبير استيفال** دراسة عن الإبداع والاستهلاك والإنتاج الثقافي، في حين تقدّم **نيكول روبن** دراسة حول القراءة.

كما أسهم أعضاء هذه المدرسة في إدماج ميادين بحثية جديدة، من خلال محاولات متعددة، من بينها سعي **بيير أوريكيوني** إلى اقتحام "**ميدان التاريخ الاجتماعي للأدب**"، من خلال تناول الميادين التي اهتمت بها المدرسة الجدلية ولكن بمنهج الأمبريقي، يركز على دراسة العلاقة بين الإنتاج الأدبي واستهلاكه ضمن سياق ثقافي محدد. وفي هذا الإطار، برز اهتمام خاص بتحليل

[1] روبير إسكاربيت، سوسيولوجيا الأدب، ص173.

العلاقة بين النص والجمهور، من خلال تفكيك شفرة العمل الأدبي وربطها بشفرة المتلقي، مع دراسة دوافع القراءة وأثارها، ودور الثقافة في تكريس أو تغيير البنى الاجتماعية.

ومن جهة أخرى، قدّم **هنري زالامنسكي** تصورا مغايرا "**لدراسة المحتوى**" مقارنة للطرح الغولدماني، حيث قسّمها إلى مرحلتين: المرحلة الأولى تهدف إلى فهم صورة المجتمع كما يعكسها الأدب، في حين تتجاوز المرحلة الثانية هذا المستوى لتطرح تساؤلات أعمق تتعلق بدلالات النصوص وتأثيرها في وعي القارئ، إضافة إلى الضغوط التي توجّه عملية القراءة. وتكمن أهمية هذا الاتجاه في قدرته على توضيح طبيعة العلاقة بين الأدب والمجتمع بصورة أدّق.

كما تندرج في هذا السياق، دراسة **جلبرت موري** "**لسوسيولوجيا الأدب الجماهيري**"، والتي تكشف عن محاولة واضحة للتوفيق بين المنهج الجدلي والمنهج الأمبريقي، من خلال الاستفادة من بعض أدوات التحليل النفسي.

وبالرغم من تعدد هذه المقاربات، يؤكد **البحراوي** أن العناصر التي يدرسها المنهج الأمبريقي، مثل ظروف إنتاج الكاتب، وانتمائه الاجتماعي، ودور النشر والإعلام والنقاد، تبقى عناصر مهمة، لكنها ليست كافية، لأنها لا تنفذ إلى البنية الجمالية الداخلية للنص. ومن ثم، فإن فهم القيمة الحقيقية للعمل الأدبي يقتضي تجاوز هذه المعطيات الخارجية إلى تحليل جماليات النص من الداخل، وربطها بالقيم الاجتماعية التي تعكسها. وفي نفس السياق، يلفت **البحراوي** إلى أن بعض عناصر التي قدمها **إسكاربيت** لم تبق حبيسة المنهج الأمبريقي، بل حظيت باهتمام خاص لدى باحثين من اتجاهات أخرى، ولعل أبرزها دراسات **بيير بورديو** التي ركزت على تحليل **المؤسسات الثقافية وتحويلات الأذواق**، مبرزا العلاقة بين الإنتاج الأدبي والبنية الاجتماعية وآليات السوق، من خلال مفاهيم مثل الثروة الثقافية وارتباطها بالمصالح الطبقية. كما امتد هذا الاهتمام ليشمل دور المؤسسة التعليمية في تشكيل الذوق الأدبي، حيث بيّنت عدة دراسات أثر المدرسة في توجيه ممارسات

القراءة وتحديد معايير القيم الأدبية، من بينها الدراسة التي قامت بها **رينيه باليبار** في كتابها **"الفرنسية الحية"**، ودراسة **كورسيني** الإيطالي عن **"المؤسسة الأدبية"**.

ومن ناحية أخرى، حظي موضوع **جمهور الأدب** باهتمام متزايد في إطار المناهج النقدية المعاصرة، حيث برزت دراسات مثل أعمال **بروكوب وفوديكا** الذي وجَّه كتابه نحو جماليات التلقي والقراءة، وقد تعزّز هذا التوجه من خلال إسهامات عدد من الباحثين الألمان، من أبرزهم **إزير وياوس ويورت**، الذين ركزوا على إبراز دور القارئ في انتاج المعنى، معتبرين أن النص الأدبي لا يكتمل إلا من خلال عملية التلقي. وينطلق هذا التصور من مرجعيات نظرية تعود إلى كل من **جادامر وكارل ماهايم**، ضمن منظور **فينومينولوجي**، يسعى إلى نفي الوجود الموضوعي المستقل للنص، وإعادة بناءه بوصفه مجموعة من الإمكانات التي يحققها القارئ أثناء القراءة، كما ينفي هذا التصور وجود الخصائص الثابتة المسماة بأدبية الأدب التي تبناها كل من الشكلانيون الروس والبنيويون.

غير أن هذه التصورات، على الرغم من أهميتها، إلا أنها لم تسلم من الانتقادات، حيث يرى الكاتب على أنه كان من الممكن لنظريات القراءة والتلقي أن تحقق فائدة أكبر لو أنها اهتمت بدراسة ردود أفعال الجمهور الفعلية، وحلّلت الطرق التي يتفاعل بها القراء مع أعمال أدبية مختلفة، مثلما حدث في بعض الدراسات الفرنسية والمجرية خاصة في أعمال **لينهارت ويوجا** التي كشفت عن تنوع القراءات واختلاف التوقعات من النص لآخر. لكن بدلا من ذلك، نجد أن هذه النظريات مالت أكثر نحو الطابع الفلسفي، حتى كادت تلتقي مع بعض التصورات التفكيكية الحديثة، متأثرة بالفلسفة الظاهراتية (الفينومينولوجيا) التي تنفي الوجود الموضوعي لما هو خارج الذات، حيث تجعل من النص الأدبي كيانا لا يتحقق إلا عبر القارئ الذي يملأ ثغراته، وهذا ما جعلها بعيدة عن منهج **علم اجتماع الأدب** القائم على الدراسة العلمية والواقعية للتلقي.

وفي الأخير، يشير الكاتب إلى أن الدراسات الميدانية والملموسة كدراسة **لينهارت ويوجا** هي الوحيدة التي يمكنها تقديم إضافة حقيقية **لعلم اجتماع الأدب**، لما تتيحه من فهم دقيق لآليات التلقي وكشف لأبعاد النص. مؤكدا أن هذا النوع من الأبحاث لا يزال محدود الحضور في الساحة العربية، التي تعاني من نقص واضح في الدراسات التطبيقية المتخصصة في هذا المجال إلى يومنا هذا.

وفي السياق العربي، ورغم محدودية تطبيق المنهج الأمبريقي، فقد أسهم في بعض الدراسات السوسيولوجية للأدب، كما يتجلّى في أعمال سيد ياسين، الذي سعى إلى توظيف هذا المنهج في تحليل بعض النصوص الأدبية، كاشفا عن ارتباطها ببعض الظواهر الاجتماعية مثل الجرائم وغيرها. كما تشير بعض المحاولات إلى إمكانية توسيع هذا المجال مستقبلا، خاصة فيما يتعلق بدراسة جمهور الأدب في مصر كما قدّمها المؤلف نفسه.

6/ تلخيص الفصل الرابع: من علم اجتماع النَّص إلى مُحتوى الشَّكل:

يفتتح الكاتب الفصل الرابع والأخير بوقفة نقدية دقيقة للمناهج السابقة، معتبرا أنها انشغلت بالأطر النظرية والمرجعيات الخارجية للعمل الأدبي أكثر من عنايتها بالنص ذاته. ومن هذا المنطلق، يؤسس لتحول منهجي ينقل الاهتمام من دراسة السياقات الاجتماعية والتاريخية المنفصلة إلى الكشف عن اجتماعية النص الكامنة في بنيته الداخلية. وبذلك، يسعى إلى تأسيس مرحلة جديدة تتجاوز الصراع التقليدي بين النقد الأدبي وعلم اجتماع الأدب، مقترحا نوعا من التوافق بينهما، على اعتبار أن موضوعهما واحد ومنهجهما واحد، وهو تحليل النص وتشكيلاته اللغوية للوصول إلى القيم الاجتماعية الكامنة فيه. وتتمحور أطروحة هذا الفصل حول مفهوم "**اجتماعية النص الأدبي**"، حيث لم يعد المجتمع يُنظر إليه بوصفه عاملا خارجيا مؤثرا، بل باعتباره بنية كامنة تتغلغل في النسيج اللغوي والجمالي للنص. ويتوّج الكاتب هذا التصور بصياغة مفهوم "**محتوى الشكل**"، الذي ينظر إلى الاختيارات الأسلوبية والبنى الفنية باعتبارها تمثيلا حيا لقيم ومصالح قوى وفئات اجتماعية معينة، وبذلك يتحول الشكل من مجرد وعاء للمضمون إلى جوهر اجتماعي بحد ذاته،

وهو ما يمهّد لبلورة مقاربات منهجية أكثر عمقا، تنطلق من التأسيسات النظرية "**لميخائيل باختين**".

6-1: ميخائيل باختين:

يبين الكاتب أن المهاد الذي انبثق منه "**علم اجتماع النص الأدبي**" يرتبط أساسا بالحركة التي عرفها النقد الأدبي، والتي جعلت من النص نفسه محورا رئيسيا للعملية النقدية. وهي حركة تبلورت مع الشكلانيين الروس في مطلع القرن العشرين، ثم امتدت لاحقا عبر البنيوية والسيميوطيقا المعاصرة. غير أن هذا الامتداد لا يدلّ على تطابق تام بين هذه المناهج وعلم اجتماع النص الأدبي، بقدر ما يعكس نوعا من التداخل والتفاعل بينها، إلى جانب استفادة هذا العلم من مرجعيات أخرى، خاصة المقاربة الماركسية.

وفي هذا الإطار، يبرز تحوّل منهجي مهم داخل علم اجتماع الأدب، حيث لم يعد الاهتمام منصبا فقط على العوامل الخارجية المحيطة بالنص، بل اتجه نحو استكشاف بنيته الداخلية بوصفها فضاء دالا في حدّ ذاته. وقد ظهر هذا التحول مع الشكلانيين الروس الذين ركزوا على خصوصية "**أدبية الأدب**" من خلال خصائصه الشكلية، مقابل تراجع نسبي للاهتمام بالبعد الاجتماعي. غير أن هذا التصور لم يبق ثابتا، إذ شهد تطورا لاحقا أعاد النظر في العلاقة بين الشكل والمجتمع، انطلاقا من وعي بأن البنية الشكلية نفسها قد تحمل دلالات ووظائف ذات طابع اجتماعي.

وفي هذا الأفق النظري، يبرز الفيلسوف واللغوي الروسي "**ميخائيل باختين**"، بوصفه من أبرز المؤسسين لعلم اجتماع النص الأدبي، أو حتى لعلم اجتماع الشكل الأدبي، حيث يُعد من أبرز من أسهموا في هذا التحول، إذ سعى إلى تجاوز التقابل التقليدي بين الشكلانية والماركسية، عبر تقديم تصور جدلي يدمج البعد الاجتماعي داخل التشكيل اللغوي ذاته. فمن خلال دراسته حول "**القول في الحياة والقول في الأدب**"، أسهم في تأسيس ما يمكن تسميته بـــــ **علم الشعر ذي بعد اجتماعي**، ينظر إلى العمل الأدبي باعتباره شكلا خاصا من أشكال التواصل الاجتماعي المتحقق

داخل اللغة، وهو ما يؤكده بقوله: "**إن عنصر الخصوصيَّة في الاتِّصال الجمالي هو أنه يتحقَّق كاملا في العمل الفني، في تجدُّده المستمر عبر المتلقي المشارك في الإبداع، وأنه لا يطلب تحقُّقات أخرى. غير أن هذا الشَّكل الخاص للاتِّصال ليس منعزلا بالطبع، فهو يشارك في فيض الحياة الاجتماعية، يعكس البنية التَّحتية الاقتصادية العامة، ويدخل مع الأشكال الأخرى للاتِّصال في عملية تفاعُل وتبادُل القوى. ومهمتنا هي فهمُ شكل العبارة الشِّعرية كشكل اتِّصال جمالي خاص يتحقَّق في المادة اللغوية.**"[1] ومعنى ذلك، أن العمل الأدبي يتميز بخصوصية في التواصل، لأنه يتحقق داخل النص نفسه ويتجدّد مع كل قراءة من طرف المتلقي، لكنه في نفس الوقت لا ينفصل عن المجتمع، بل يعكس الظروف الاجتماعية والاقتصادية ويشارك في التفاعل مع باقي أشكال التواصل داخل الحياة الاجتماعية، وبذلك، لم يعد الشكل الأدبي مجرد تنظيم جمالي محايد، بل صار فضاءً تتداخل فيه علاقات اجتماعية وأيديولوجية معقدة داخل البنية النصية نفسها.

وانطلاقا من هذا التصور، يعيد **باختين** صياغة العلاقة بين الأدب والمجتمع، رافضا فكرة الانعكاس المباشر، إذ يقترح علاقة تداخل عضوي ومتزامن تضع الإنتاج اللغوي والأيديولوجي والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية في مستوى متقارب ومترابط. فالبنية الفوقية عنده ليست مجرد نتيجة تابعة للبنية التحتية، بل هي امتداد حي لها يتجلى داخل الوعي الأيديولوجي نفسه.

ومن هذا المنطلق، يربط **باختين** دراسة اللغة الشعرية ببنيتها الشكلية وبالعناصر المؤثرة داخل التشكيل اللغوي ذاته، مستشهدا بظاهرة "**التنغيم**" كنموذج، إذ يؤكد أن التغييرات الصوتية والدلالية ليست معزولة، بل هي نتاج مباشر للموقف الاجتماعي المشترك بين المتحدث والمتلقي، وبذلك تصبح اللغة كيانا ديناميكيا يعيد صياغة المعنى والتقييم بناءً على السياق التفاعلي والاجتماعي.

[1] ميخائيل باختين، القول في الحياة والقول في الشعر، مساهمة في علم شعر اجتماعي، ت: أمينة رشيد وسيد البحراوي، بيروت، مجلة الآداب، 1988، ص39.

وفضلا عن ذلك، يتسع هذا المنظور السوسيولغوي عند **ميخائيل باختين** ليشمل **بنية الرواية** ككل، حيث أحدث قطيعة معرفية مع الشكلانيين الذين أهملوا سياق النشأة، والماركسيين الذين فسّروا الرواية بوصفها معبّرة عن القيم الرأسمالية أو متماثلة مع بنيتها الاجتماعية (**غولدمان**). ليطرح بدلا من ذلك مفهوم "**البوليفونية**" أو ما يُسمى بتعدد الأصوات، **فالرواية** عنده ليست نصا مغلقا، بل فضاءً حيويا تتقاطع داخله أصوات متعددة تعبر عن صراعات المجتمع وتنوع لغاته.

كما يذهب **باختين** إلى أن جذور هذا النوع الأدبي لا تعود للملحمة (**لوكاتش**)، بل إلى الأشكال التعبيرية الشعبية، وخاصة "**الكرنفالية**" أو ما يسمى بـــــالاحتفالية، التي تقوم على كسر الجمود وإتاحة المجال لظهور أصوات متكافئة تتفاعل حواريا. ومن هنا يتضح تفضيله للرواية "**الديالوجية**" الحوارية، كما تتجلى عند **دوستويفسكي**، التي تقاوم هيمنة الصوت الواحد وتجسد وعي الإنسان المتشظي في مواجهة التشيؤ الرأسمالي.

ومع ذلك، وعلى الرغم من الأهمية المركزية لهذا التصور، إلا أن المؤلف يطرح جملة من الملاحظات النقدية على رؤية **باختين**، إذ يرى بالتوازي مع نقد **بيير زيما**، أن تحليل **باختين** للشكل ظل في كثير من جوانبه حبيس المقولات الفلسفية العامة، دون أن ينجح في ضبط آليات تاريخية واجتماعية ملموسة ودقيقة. ويكمن جوهر النقد في أن التكوين الفلسفي **لباختين** قد غلب على أدواته التحليلية، فلم تتبلور لديه منهجية إجرائية واضحة أو أدوات عمل منضبطة يمكن اعتمادها بشكل صارم.

وبناءً على ذلك، لم يتمكن **باختين** من إقامة روابط علمية صارمة بين القوى الاجتماعية وبين عناصر شكلية محددة داخل النص الروائي، وهو ما جعل نتائجه تميل إلى الطابع التجريدي الفلسفي، أكثر من انخراطها في تحليل سوسيولوجي دقيق يقوم على تتبع العلاقات الواقعية بين بنية المجتمع وبنية العمل الأدبي.

2-6: بيير زيما:

يُعدّ **بيير زيما** (**1946**) من أبرز الباحثين في مجال علم اجتماع النص، إذ يُنسب إليه تأسيس هذا المصطلح بشكل واضح، خاصة في كتابه "**نحو علم اجتماع للنص الأدبي**" (**1978**). وعلى الرغم من تأثره الواضح بأفكار باختين، إلا أنه تجاوزها من خلال الانفتاح على مناهج متعددة، مثل مدرسة فرانكفورت والتحليل النفسي، إلى جانب إلمامه بالتراث الماركسي التقليدي.

وقد أسهم هذا التعدد المعرفي في تشكيل منهج متميز لدى **زيما**، يقوم على تجاوز الطرح العام لعلم اجتماع الأدب، عبر التركيز على تحليل النص من داخله، والبحث في كيفية تجسد القضايا الاجتماعية والمصالح الجماعية داخل بنياته الدلالية والتركيبية والسردية. وبذلك، لم يعد النص يُفهم باعتباره انعكاسا خارجيا، بل بوصفه بنية تحمل في داخلها آثار الصراعات الاجتماعية والمصالح الجماعية بشكل دقيق ومحدّد. وفي هذا السياق، يشير المؤلف إلى أن زيما قد تمكّن بالفعل خاصة في كتاباته "**الازدواج الروائي**" و"**اللامبالاة الروائية**" من نقل علم اجتماع النص من مستوى الطرح النظري العام (باختين) إلى مستوى التحليل الإجرائي، حيث أصبح من الممكن تتبع التوترات الاجتماعية داخل البنى اللغوية للنص والكشف عن تجلياتها في مختلف مستوياته.

وفي هذا الإطار، يؤسس **زيما** تصوره على ما يسميه بـــــ "**الوضع الاجتماعي اللغوي**" **(situation socio-linguistique)**، حيث ينطلق من اعتبار "**كل تجلٍّ كلامي هو بنية أيديولوجية تعبِّر عن مصالح جماعية.**"[1] أي أن اللغة داخل النص الروائي لا تفهم بوصفها مجرد وسيلة تعبير فردي، بل باعتبارها حاملة لرؤى جماعية تعكس انتماءات اجتماعية وثقافية محددة، وهو ما يستدعي دراسة اللهجات الجماعية والأنماط اللغوية داخل النص الروائي، وكيفية تفاعلها. ويُبرز من خلال تحليله لرواية "**البحث عن الزمن الضائع**" **لمارسيل بروست** أن التحولات الاجتماعية، خاصة بروز طبقة بورجوازية غير منتجة قائمة على رأس المال المالي، أدت إلى ظهور

[1] سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص53.

نمطين من التشيؤ في المجتمع: الأول مرتبط بالإنتاج حيث تُختزل القيمة في التبادل، والثاني مرتبط بالاحتكار والدخل الريعي، حيث تنفصل القيمة عن عملية الإنتاج.

وقد انعكست هذه التحولات على البنية الاجتماعية واللغوية، إذ أدى صعود هذه الطبقة إلى تغيير أنماط التواصل داخل الأوساط الراقية، وخلق الازدواجية في القيم والهوية، وهو ما عبّر عنه **بروست** داخل عمله الروائي، مجسّدا تناقضات الفرد داخل مجتمع متحوّل، وتتجلى هذه الازدواجية خاصة على مستوى الشخصية، حيث يصبح الفرد مهددا بفقدان هويته تبعا لوضعه الاقتصادي.

وفي مواجهة هذا الازدواج القيمي، يرى **زيما** أن **بروست** يلجأ إلى الكتابة كبديل جمالي، من خلال توظيف المونولوج، بحيث تتحول الكتابة إلى فضاء يعيد بناء وحدة مفقودة في الواقع. غير أن هذه الوحدة تظل محصورة في مستوى التخييل أو الحلم، ولا تتحقق فعليا في الواقع الاجتماعي.

وانطلاقا من ذلك، يتوصل **زيما** إلى نتائج تختلف عن **باختين** و**لوكاتش**، إذ يؤكد أن الرواية الحديثة لا تحقق وحدة كلية حقيقية، بل تعكس تفكك الواقع، وأن أي انسجام يظهر فيها إنما يتحقق داخل بنية الكتابة ذاتها، لا في العالم الخارجي.

وإذا كان **بيير زيما** قد حقّق هذا التمايز المنهجي عن ميخائيل باختين في كتاب "**الازدواجية الروائية**"، فإنه في كتاب "**النقد الاجتماعي**" يرسّخ تمايزا آخر عن الدراسات النصية التقليدية التي تنغلق عن النص في حدّ ذاته، متجاوزا في الوقت نفسه النزعة الأمبريقية في علم اجتماع الأدب التي كانت تعزل الجمهور عن النص. وفي هذا السياق، يؤسس **زيما** تصوره على ربط البنى الدلالية والسردية بالصراعات الأيديولوجية والاجتماعية، بحيث يُقرأ النص بوصفه جزءًا من شبكة الخطابات التي يتفاعل معها.

ويتجلى ذلك بوضوح من خلال دراسته لرواية "**الغريب**" **لألبير كامو**، حيث يُفسر اختلاف مواقف القراء من ماركسيين لينينيين، ومنادين بالتقدم الاجتماعي، ومنتظرين لنهضة دينية والذين

اتخذوا مواقف عدائية أو متحفظة تجاه **كامو**، انطلاقا من البنى الدلالية والسردية للنص نفسه، معتبرا أن هذه المواقف هي مسألة اجتماعية بالدرجة الأولى. ويرى الكاتب أن تقديم إجابة شافية لهذا التباين يظل غير ممكن ما لم تُؤخذ بعين الاعتبار هذه البنى الداخلية للنص.

وفي هذا الإطار، يرى الكاتب أنه لفهم ردود الفعل السلبية تجاه "**رواية الغريب**" ونص فلسفي مثل "**أسطورة سيزيف**"، يجب مراعاة أن بنيتهما الدلالية تقوم على نقد الخطابات الأيديولوجية السائدة، إذ يرفض **كامو** الاعتراف بأي غائية تاريخية، سواء كانت مسيحية أو ماركسية، أو تصور التاريخ بوصفه مسارا متجها نحو هدف نهائي داخل سردية كبرى.

ومن هذا المنطلق، يوضّح المؤلف أن نصوص **كامو** تجادل بشكل ضمني ثلاثة خطابات أيديولوجية كبرى: أولها الخطاب المسيحي الإنساني الذي يؤطر التاريخ ضمن أفق أخروي ذي طابع مؤسساتي، وثانيها الخطاب الإنساني العقلاني الذي تحكمه فكرة التقدم، وثالثها الخطاب الماركسي اللينيني الذي يتجه نحو تصور مجتمع بلا طبقات، والذي شكّل بدوره جزءًا من اللغة الجمالية الرسمية والجماليات الاشتراكية.

ومن خلال هذا التصور، يبرز المؤلف أن **بيير زيما** قد نجح في بناء منهج متماسك يتجاوز كثيرا من التعارضات التي طبعت المناهج النقدية، سواء في علم اجتماع الأدب أو في حقل النقد الأدبي عموما، إذ يفتح أفقا أوسع لدراسة النص الأدبي من خلال الاستفادة من الخبرات والمعارف والمقاربات المتعددة.

غير أن هذا التصور، رغم أهميته، لا يخلو من ملاحظات نقدية، إذ يشير المؤلف إلى أن تركيز **زيما** ظل منصبا أساسا على النص بوصفه بنية لغوية، في حين أن النص الأدبي يتشكل من أنساق دلالية متعدّدة لا تقتصر على اللغة وحدها، بل تشمل أيضا علامات غير لغوية، مثل ما يتصل بالشكل الطباعي للعمل، من حيث تصميم الغلاف، وتنظيم الفصول، وبناء الفقرات، وتتابع

السرد دون فراغات. فهذه العناصر، في نظر المؤلف تؤدي دورا سيميائيا مهما في إنتاج المعنى وتوجيه التلقي.

وانطلاقا من ذلك، يخلص المؤلف إلى ضرورة توسيع مفهوم النص ليشمل مختلف الأبعاد السيميائية (علم العلامات)، اللغوية وغير اللغوية، بما يسمح بفهم أشمل للعلاقة بين البنية النصية وسياقها الاجتماعي. وإلا فإن الأمر يستدعي تجاوز خطوة **زيما** نفسها نحو أفق منهجي أوسع، يُعبّر عنه بمفهوم "**علم اجتماع الشكل الأدبي**"، بوصفه مدخلا أكثر قدرة على استيعاب الأبعاد المادية والدلالية للعمل الأدبي في تفاعله مع المجتمع.

6-3: علم اجتماع النَّص في النَّقد العربي المعاصر:

شهد النقد العربي المعاصر، منذ منتصف الستّينيّات، تحولا ملحوظا نحو الاهتمام بالمقاربة السوسيولوجية للنص الأدبي. وقد ارتبط هذا التحول إلى حدّ كبير، بالدعوة التي طرحها **عبد الله العروي** في كتابه "**الأيديولوجية العربية المعاصرة**" (**1976**)، حيث أكد على ضرورة دراسة الأدب ضمن أبعاده الاجتماعية، معتبرا أن إهمال هذا البعد يُبقي النقد بعيدا عن فهم حقيقي للأدب.

غير أن تأثير هذه الدعوة لم يكن مباشرا وفوريا، إذ لم يتلقَّها القارئ العربي إلا لاحقا بعد ترجمة الكتاب، ضمن سياق ثقافي أوسع تعرّف فيه على التيارات الشكلية الغربية، خلال السبعينيات والثمانينيات، خصوصا عبر الاطلاع على أعمال **ميخائيل باختين** وترجمتها.

وفي هذا السياق، برز اهتمام واضح في النقد العربي بدراسة النص الأدبي وفق منظور سوسيولوجي، رغم أن هذا التوجه لم يخلُ من اضطراب منهجي، إذ تأثر ببعض النقاد، مثل **غولدمان**، إلا أن التأثير الأكبر كان للتيارات الشكلية بصفة عامة و**لميخائيل باختين** بصفة خاصة، حيث تُرجمت معظم أعماله التي صدرت بالفرنسية.

وقد انعكس هذا التأثير في أعمال عدد من النقاد العرب، حيث اتجه بعضهم إلى التوفيق بين المناهج المختلفة، بينما سعى آخرون إلى تقديم قراءات أكثر انسجاما وتكاملا. ومن بين هذه الجهود التي يشير إليها الكاتب: دراسات **محمود أمين العالم**، حيث قدّم إسهاما لافتا في كتابه " **ثلاثية الرفض والهزيمة**" الذي درس فيه ثلاثة روايات **لصنع الله إبراهيم**، وهي: "**تلك الرائحة**" و"**نجمة أغسطس**" و"**اللجنة**". وقد سعى، خاصة في الفصلين الأول والثاني، إلى دراسة النص الأدبي اجتماعيا من خلال تحليل البنيات السردية في الرواية. غير أنه عاد في الفصل الثالث إلى الفصل بين الشكل والمضمون، مما جعله يقترب من الدراسة المضمونية التقليدية.

وكذلك نجد **يمنى العيد**، التي استفادت من مقولات **باختين** على المستوى النظري، إلا أن توظيفها التطبيقي اتسم بنوع من التذبذب، حيث يكشف تحليل أعمالها عن تردد بين أكثر من منهج، وعدم القدرة على تحقيق انسجام حقيقي بين البعد النصي والبعد الاجتماعي.

أما **لحميداني حميد**، فيُعد في –نظر الكاتب– من أكثر النقاد توفيقا، حيث سعى إلى بناء رؤية متكاملة، وخصّص عددا من أعماله لعرض أفكار باختين وتطبيقاتها، مثل "**أسلوبية الرواية**" و"**النقد الروائي والأيديولوجيا**".

أما **أمينة رشيد**، فقد سعت هي الأخرى إلى توظيف بعض مفاهيم **باختين**، خاصة مفهوم الزمكانية، موظِّفةً إياه في دراسة نشأة الرواية العربية.

ويمكن القول في الأخير، إن علم اجتماع النص في النقد العربي المعاصر قد تشكّل في سياق تفاعل مع المناهج الغربية، خاصة الشكلية والسوسيولوجية، غير أنه ظل في كثير من الأحيان، يعاني من إشكالية التوفيق بين البعد النصي والبعد الاجتماعي، رغم وجود محاولات جادة سعت إلى تجاوز هذا التوتر وبناء رؤية نقدية أكثر تكاملا.

6-4: محتوى الشكل:

يوضح الكاتب في هذا العنوان أن مصطلح "**محتوى الشكل**" ليس ابتكارا ذاتيا خالصا، بل له جذوره في الفكر النقدي العالمي، حيث استُخدم لدى عدد من المفكرين البارزين مثل **لويس هيلمسليف**، و**فريدريك جيمسون**، و**كوزينوف** و**كاجيف** و**هايدن وايت** وكل ناقد أعطاه مفهوما مختلفا عن الآخر. إلا أن **سيد البحراوي** أعاد صياغة هذا المصطلح منذ عام 1986، ليكون منهجا نقديا جديدا يهدف إلى تحقيق دراسة سوسيولوجية للنص الأدبي، تتجاوز الدراسات الأدبية العامة، وتقوم على الربط بين جماليات الشكل وأبعاده الاجتماعية في رؤية تكاملية.

وفي هذا السياق، يُعرِّف الكاتب "**محتوى الشكل**" بوصفه "**أنساق الدلالة التي يحملها الشكل الفني الذي يتضمن كل العناصر الفنية والتِّقنيات التي يستخدمها الفنان واضعا إيّاها في نسق مرتَّب ومنظَّم يحمِّله رؤيته للعالم.**"[1] ومعنى ذلك أن الشكل لا يقتصر على الجانب الجمالي فقط، بل يحمل في طياته دلالات تكشف رؤية الكاتب للعالم وموقفه الاجتماعي والفكري. وبذلك يصبح الشكل حاملا لاختيارات الكاتب وميولاته، بدءًا من الألوان والأصوات، وصولا إلى موقفه من الصراعات الاجتماعية والميتافيزيقية. فالشكل هنا يتسّم بازدواجية واضحة، إذ يجمع بين البعد الفردي الذي يعكس خصوصية الكاتب، والبعد الاجتماعي الذي يرتبط بالسياق التاريخي الذي كُتب فيه النص.

كما يؤكد المؤلف على الطبيعة الصراعية للعملية الإبداعية، فالأديب لا يستمد عناصره من الفراغ، بل يأخذها من الطبيعة أو من التنظيم الاجتماعي، أو من التراث الأدبي السابق. ولكي يثبت الأديب خصوصيته، فإنه يدخل في صراع مع هذه العناصر الموروثة، غير أنه لا ينقلها كما هي، بل يُعيد تشكيلها وتنظيمها وفق رؤيته الخاصة، وهو ما يمنح للمعلومات داخل النص قيمتها الإبداعية والجمالية، ويحوّل النص إلى نسق متكامل يتألف من أنساق جزئية كالسرد، والشخصيات، والإيقاع.

[1] سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ص59.

وانطلاقا من ذلك، يحدد **البحراوي** مهمة الدارس الأساسية في تحليل التعديلات الي يُحدثها الكاتب داخل النسق الفني، باعتبارها مفتاحا لاكتشاف خصوصيته التشكيلية وموقفه من العالم، سواء أكان موقف قبول أو رفض. وبناءً عليه، يصبح "**محتوى الشكل**" موضوعا مركزيا لـــــ "**علم اجتماع الشكل الأدبي**"، وهو منهج يتميز بكونه يتجاوز ثنائية الشكل والمضمون، إذ يختلف عن الاتجاهات الشكلانية التي تهتم بالشكل لذاته، وعن المقاربات الماركسية والوضعية التي ركزت على المضمون فقط، فالتشكيل الأدبي في حدّ ذاته هو دالّ اجتماعي لا ينفصل عن الواقع.

وفي الختام، يؤكد الكاتب على ضرورة أن تنطلق دراسة التشكيل الأدبي من داخل النص، دون فرض قوالب خارجية عليه، مع الاستفادة من كافة العلوم المساعدة. ويرى أن أهمية منهج "**محتوى الشكل**" تكمن في كونه يلغي الفصل التعسفي بين الشكل والمجتمع، وكذلك بين الفهم والتفسير. فمجرد اختيار الأديب لعنصر فني وتنسيقه بطريقة معينة هو فعل اجتماعي يكشف عن موقفه من الواقع. ومن خلال هذا التصور، يسعى **سيد البحراوي** إلى الإسهام في تجاوز أزمة المناهج العربية المعاصرة، وتحقيق تواصل فعّال بين علم اجتماع الأدب والنقد الأدبي ضمن إطار "**علم اجتماع الشكل الأدبي**".

7– خاتـــمة الكتاب:

يستعرض المؤلف في خاتمة الكتاب قصة **علم اجتماع الأدب** بوصفها رحلة معرفية بدأت إرهاصاتها منذ القرن الثامن عشر، ثم تطورت عبر محطات رئيسية، شملت المدرسة الوضعية والماركسية في القرن التاسع عشر، وصولا إلى الأمبريقية (التجريبية) في منصف القرن العشرين، وانتهاءً بما يسمى علم اجتماع النص. ويؤكد الكاتب أن هذا العرض لم يكن مجرد سرد تاريخي، بل جاء في صيغة ديالوجية (حوارية) أبرزت تعدّد الرؤى وتباين المفاهيم، إلى جانب ما وُجّه لكل اتجاه من نقد، وذلك بهدف تقويم مسار هذا العلم وتوجيهه نحو المنحى الصحيح.

وفي هذا الإطار، يصرّح **البحراوي** بانحيازه الواضح للمنهج الاجتماعي في دراسة النص الأدبي، مبرّرا ذلك بحاجة الأدب العربي والمجتمع المعاصر الماسة لهذا النوع من الدراسات. فهو لا يسعى إلى تحليل أكاديمي معزول فحسب، بل يهدف أيضا إلى كسر العزلة بين الأدب والقراء، وإزالة العوائق الناتجة عن بعض المشكلات الاجتماعية، كالفقر والأمية وضعف التواصل الثقافي.

ومن جهة أخرى، لا يحصر الكاتب أسباب هذه الفجوة في العوامل الخارجية فقط، بل يوجّه نقدا إلى بعض النصوص الأدبية ذاتها، معتبرا أنها لا تسعى بجدية للتواصل مع **"محتوى شكل"** الجماعات العربية، أي أنها تنفصل جماليا عن الوجدان الاجتماعي، وهو ما يُسهم في تعميق الفجوة بين المبدع والمتلقي.

وفي ختام طرحه، يقدّم **البحراوي** مفهوم **"محتوى الشكل"** ليس فقط كموضوع للدراسة، بل كمنهج نقدي متكامل وصالح لمعالجة قضايا الأدب العربي. فهو يدعو إلى النظر إلى الشكل الأدبي باعتباره دالا اجتماعيا في حد ذاته، ويرى في هذا التصور سبيلا لتجاوز أزمة النقد الأدبي المعاصر، وتحقيق مصالحة بين النص وسياقه الاجتماعي.

8- النقد والتقييم:

يُعدّ كتاب **"علم اجتماع الأدب"** للدكتور **سيد البحراوي** من أبرز الدراسات النقدية المهمة التي سعت إلى تقديم تصور متكامل حول علاقة الأدب بالمجتمع، وذلك من خلال تتبع نشأة المناهج السوسيولوجية المختلفة وتطورها، مع الوقوف عند أهم تصوراتها النقدية ومناقشتها. وقد سعى المؤلف إلى تقديم رؤية نقدية تُسهم في تطوير مفهوم **"محتوى الشكل"** في النقد العربي المعاصر، معتمدا على رصيد معرفي وفلسفي متنوع. وقد منح ذلك الكتاب قيمة علمية ونقدية واضحة جعلته مرجعا مهما في مجال علم اجتماع الأدب، غير أن ذلك لا يمنع من تسجيل بعض الملاحظات النقدية المتعلقة بالموضوع والمنهج و المصادر و المراجع المعتمدة و النتائج التي توصل إليها المؤلف.

8-1: من حيث الموضوع:

عالج الدكتور **سيد البحراوي** في كتابه "**علم اجتماع الأدب**" إشكالية العلاقة بين الأدب والمجتمع من منظور سوسيولوجي نقدي، حيث سعى إلى تطوير مفهوم "**محتوى الشكل**" وتقديمه بوصفه بديلا نقديا يتجاوز بعض النقائص التي رآها في التصورات التقليدية خاصة نظرية الانعكاس. وقد منح هذا الطرح الكتاب قيمة فكرية واضحة، خاصة لاعتماد المؤلف على خلفية فلسفية ونقدية متعددة، إلا أن انفتاحه الكبير على المناهج الغربية، مثل المدارس الماركسية والوضعية.... إلخ، قابله حضور محدود للتراث النقدي العربي. كما اتسمت لغة الكتاب بالطابع الأكاديمي العلمي، من خلال اعتماد المؤلف الدقة في توظيف المصطلحات النقدية والمفاهيم الفكرية الفلسفية، وهو ما منح الدراسة طابعا معرفيا متخصصا، رغم أن كثافة هذه المصطلحات قد تجعل بعض المواضع صعبة الفهم والاستيعاب بالنسبة للقارئ غير المتخصص.

8-2: من حيث المنهج:

اعتمد المؤلف منهجا وصفيا في عرض المناهج والتصورات السوسيولوجية، حيث ركّز على تقديم الأفكار والمفاهيم النقدية وشرحها ومناقشتها بصورة متدرجة، إذ انتقل من التصورات البسيطة إلى القضايا الأكثر تركيبا وتعقيدا، مع الكشف عن بعض حدودها المعرفية. وقد أسهم هذا المنهج في تقديم مادة علمية ثرية ومنظمة، غير أن الكتاب افتقر بشكل شبه تام إلى الجانب التطبيقي، إذ لم يعمل المؤلف على إسقاط هذه التصورات على نماذج أدبية تحليلية. لذلك كان من الممكن أن يكتسب الكتاب قيمة نقدية أكبر لو اعتمد المؤلف منهجا وصفيا تحليليا يجمع بين التأصيل النظري والتطبيق الإجرائي، بما يسمح باختبار فاعلية هذه التصورات داخل النصوص الأدبية. كما بدى المؤلف واقعا في الإشكال نفسه الذي أشار إليه عند حديثه عن ميخائيل باختين، إذ شدد على أهمية التطبيق في إبراز قيمة النظرية وفاعليتها، لكنه اكتفى داخل هذا الكتاب بعرض التصورات النظرية دون تفعيلها بصورة تطبيقية واضحة.

8-3: من حيث المصادر والمراجع المعتمدة:

اتسمت المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الدكتور سيد البحراوي بالغنى والتنوع، حيث جمع بين المراجع العربية والمترجمة والأجنبية، وهو ما أكسب الكتاب ثراء معرفيا ومنهجيا واضحا. كما تنوعت هذه المراجع من حيث مجالاتها، إذ شملت الدراسات السوسيولوجية والنقدية والفلسفية، إلى جانب اعتماد المؤلف على كتب ومقالات ودوريات علمية متخصصة. وقد بدت أغلب المراجع حديثة نسبيا بالنسبة لفترة تأليف الكتاب، خاصة مع حضور أسماء نقدية وفكرية بارزة مثل ميخائيل باختين ولوسيان غولدمان وبيير بورديو، وهو ما يدل على سعة اطلاع المؤلف واهتمامه بالمناهج النقدية الحديثة. غير أن هيمنة المرجعيات الغربية بدت أكثر وضوحا مقارنة بحضور المرجعيات النقدية العربية، وهو ما جعل توظيف التراث النقدي العربي محدودا نسبيا داخل الكتاب.

8-4 من حيث النتائج:

جاءت النتائج التي توصل إليها المؤلف منسجمة إلى حد كبير مع الإشكالية التي انطلق منها، خاصة فيما يتعلق بإبراز أهمية الشكل الأدبي بوصفه حاملا لدلالات اجتماعية وفكرية، كما أسهم الكتاب في إثراء مجال علم اجتماع الأدب وفتح أفاق جديدة أمام الدراسات النقدية في النقد العربي المعاصر. ورغم بعض الملاحظات المتعلقة بالجانب التطبيقي وكثافة الطرح النظري، فإن الكتاب يضل من الدراسات النقدية المهمة والبارزة في هذا المجال، لما يقدمه من عمق فكري وتنظيم منهجي.

خلاصة الفصل الثاني:

تناولتُ في هذا الفصل دراسة المضامين الفكرية والنقدية لكتاب علم اجتماع الأدب، حيث قدمتُ وصفا عاما لمحتوى الكتاب، ثم عملتُ على تلخيص فصوله ومباحثه الأساسية. وقد بدأتُ

ذلك بتلخيص مقدمة الكتاب ومدخله، ثم انتقلت إلى الفصل الأول المعنون بـــــ "الوضعية"، حيث تناولتُ فيه الوضعية عند مدام دي ستال، والوضعية عند هيبوليت تين، إضافة إلى الوضعية في النقد العربي. كما لخّصتُ الفصل الثاني الخاص "بالنظرية الماركسية"، فتطرقتُ إلى دراسة أسسها النظرية، ونقاد الانعكاس ومنهم جورج لوكاتش ولوسيان غولدمان، ثم تناولتُ مفهوم الانعكاس في النقد العربي، ومدرسة فرانكفورت وجماعة ألتوسير.

بعد ذلك لخصتُ الفصل الثالث المتعلق بالأمبريقية ودراسات جمهور الأدب، ثم انتقلتُ إلى الفصل الرابع والأخير المعنون بـــــ "من علم اجتماع النص إلى محتوى الشكل"، حيث درستُ فيه تصورات كل من ميخائيل باختين وبيير زيما، كما تناولتُ علم اجتماع النص في النقد العربي المعاصر، وصولا إلى مفهوم "محتوى الشكل". وفي ختام الفصل قمتُ بتلخيص خاتمة الكتاب، ثم قدمتُ نقدا وتقييما للكتاب من حيث الموضوع والمنهج و المصادر والمراجع المعتمدة والنتائج التي توصّل إليها المؤلف.

خاتـــمة

خاتـــمة:

وفي اختتام هذا البحث الذي تناول دراسة في كتاب علم اجتماع الأدب للدكتور سيد البحراوي، تمّ التوصل إلى مجموعة من النتائج التي كشفت أهمية علم اجتماع الأدب في فهم العلاقة بين الأدب والمجتمع، وهي:

1. لقد تبيّن من خلال هذا البحث أن علم اجتماع الأدب هو ظاهرة أدبية ومنهج من المناهج النقدية التي اهتمت بدراسة العلاقة بين الأدب والمجتمع وربط النص الأدبي بسياقه الاجتماعي والفكري.
2. أظهر الدكتور سيد البحراوي اهتماما كبيرا بتطور المناهج السوسيولوجية وكيفية تفسيرها للظاهرة الأدبية وتحليلها.
3. كما أكدّ المؤلف أن عرضه لهذه المناهج لم يكن مجرد تتبّع تاريخي، بل حاول من خلال ذلك إبراز تعدد الرؤى والمفاهيم واختلافها، إلى جانب تقديمه أهم الانتقادات لكل اتجاه، وذلك بهدف إرشاد هذا العلم وتوجيهه نحو المنهج الأنسب.
4. سعى المؤلف إلى تجاوز النقائص التي وقعت فيها الاتجاهات السابقة، سواء تلك التي ركزت على المجتمع وأهملت الجانب الفني، أو التي اهتمت بالشكل وأبعدت البعد الاجتماعي للنص الأدبي.
5. كما شدّد على أنّ الشكل الأدبي مرتبط بالمضمون ارتباطا وثيقا، إذ يحمل في داخله أبعادا فكرية واجتماعية تتجسد من خلال مفهوم "محتوى الشكل".
6. توصّل المؤلف إلى أن المنهج الأنسب والأكثر شمولية ودقة لدراسة علم اجتماع الأدب يتمثل في مفهوم "محتوى الشكل"، فقد عُدَّ منهجا نقديا متوازنا يجمع بين مختلف التصورات السوسيولوجية، مع السعي إلى تجاوز ما شابها من نقائص وقصور.

7. تميّز الكتاب بالغنى المعرفي وتنوع المصادر والمراجع المعتمدة بين العربية والمترجمة والأجنبية، مما أكسب الكتاب قيمة علمية ومنهجية معتبرة.
8. اتسّم أسلوب الكتاب بالطابع الأكاديمي والمنهجي، مع تسلسل الأفكار وترابطها داخل مختلف الفصول.
9. أسهم الكتاب في إثراء النقد السوسيولوجي العربي، وفتح الأفاق أمام دراسات نقدية جديدة تهتم بالعلاقة القائمة بين الأدب والمجتمع.
10. يُعدّ هذا الكتاب مرجعا مهما للباحثين الأكاديميين والطلبة المهتمين بالنقد الحديث والمعاصر وعلم اجتماع الأدب.

وانطلاقا من النتائج المتوصل إليها، يمكن اقتراح جملة من التوصيات والآفاق البحثية، من أبرزها:

1) تشجيع الدراسات النقدية التي تُعنى بعلاقة الأدب بالواقع الاجتماعي والفكري.
2) توسيع البحث في مفهوم "محتوى الشكل" وتطبيقه على النصوص الأدبية العربية الحديثة.
3) الاهتمام بالمناهج السوسيولوجية الحديثة ودورها في تطوير النقد الأدبي العربي.

وفي الأخير، يظل كتاب علم اجتماع الأدب من الكتب النقدية المهمة التي أسهمت في تطوير الدراسات السوسيولوجية العربية، وفتحت آفاقا جديدة للبحث والدراسة في مجال النقد الأدبي الحديث والمعاصر.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

آرون بول وفيالا ألان، سوسيولوجيا الأدب، ت: محمد علي مقلد، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2013م.

اميل دور كايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ت: محمود قاسم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 2011م.

جان كلود كارلوني وجان كلود فيللو، النقد الأدبي، ت: كيتي سالم، بيروت، منشورات عويدات، ط2، 1984م.

جورج بليخانوف، الفن والتصور المادي للتاريخ، ت: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1977م.

جورج لوكاتش، نظرية الرواية وتطورها، ت: نزيه الشوفي، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، د.ط، 1987م.

جون مولينو، ما هو التراث الماركسي الحقيقي، ت: مركز الدراسات الاشتراكية، كراسات اشتراكية، د.ط، د.ت.

جون هال، مقالات ضد البنيوية، ت: إبراهيم خليل، درا الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1986م.

روبير إسكاربيت، سوسيولوجيا الأدب، ت: أمال أنطوان عرموني، بيروت، منشورات عويدات، ط2، 1983م.

سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، دار نوبار للطباعة-القاهرة، ط1، 1992م.

شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، ط2.

قائمة المصادر و المراجع :

عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ت: أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، القاهرة، الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع، د.ط، 2006م.

كارل ماركس وفريدريك انجلز، المادّية التاريخية، ت: حنا عبود، مختارات فلسفية، دار الفرابي، بيروت، 1975م.

كارول الخوري، الفلسفة الوضعية: تعريفها، مؤسسها، وتأثيرها في الفكر العربي، منصة تكوين، 13 يناير 2024م.

محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس، في الثقافة المصرية، منتدى سور الأزبكية، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ط3، د.ت.

نعيمة وابل، الاغتراب عند كارل ماركس، دراسة تحليلية نقدية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار-الجزائر، 1443ه/2013م.

هشام يعقوب مرزيق، المدخل إلى علم الاجتماع، الإسكندرية، دار الزاية للنشر والتوزيع، ط1، 2007م.

المعاجم:

أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين، معجم مقياس اللغة، م: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، 1979م.

جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، لبنان، بيروت، ط1، 2003م.

عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ط2، 1984م.

عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، أول معجم شامل بكل مصطلحات علم الاجتماع المتداولة في العالم وتعريفاتها، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2006م.

معجم المعاني الجامع، مادة علم الاجتماع، تعريف ومعنى علم اجتماع.

قائمة المصادر و المراجع :

المذكرات:

بثينة طالب ونسرين عيساوي، دراسة سوسيولوجية في رواية يوم رائع للموت لسمير قسيمي، مذكرة ماستر، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، 2021/2020م.

المحاضرات:

حنان دريسي، محاضرات في مقياس المدخل إلى علم الاجتماع، مطبوعة بيداغوجية، جامعة الجزائر3، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية 2021/2020م.

خديجة حبيبي، النقد الاجتماعي بين التنظير والإنجاز، قراءة في المدونة النقدية الجزائرية، كلية الأداب واللغات، جامعة معسكر.

نوري محمد أحمد شقلابو، أزمة الأمبريقية في علم الاجتماع، جامعة الزاوية، قسم علم الاجتماع، ليبيا، 2019م.

المجلات:

ميخائيل باختين، القول في الحياة والقول في الشعر، مساهمة في علم شعر اجتماعي، ت: أمينة رشيد وسيد البحراوي، بيروت، مجلة الأداب، 1988م.

نورة كطاف هيدان، النظرية الماركسية: الأسس والتقييم، مجلة كلية القانون والعلوم السياسية العدد5، الجامعة العراقية-كلية القانون والعلوم السياسية.

مواقع الكترونية:

إبراهيم أبو طالب، علم اجتماع الأدب عند سيد البحراوي، مدونة إبراهيم أبو طالب، 21 يوليو 2020. https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/علم-الاجتماع/ :

فهرس المـــوضوعات:

آية قرآنية

شكر و عرفان

اهداء

مقدمة:.....أ

الفصل الأول: الدراســـة الخارجيـــة للكتـــاب

دراسة الواجهة الأمامية والخلفية للكتاب:..... 5

أولا: وصف الواجهة الأمامية:.....5

تحليل عنوان الكتاب: 6

الوصف المادي للكتاب:.....6

اسم المؤلف:.... 7

العناصر البصرية والألوان: 7

الخطوط والتنسيق: 8

الناشر ودلالته:. 8

خلاصة الغلاف الأمامي: 9

ثانيا: وصف الواجهة الخلفية 10

مضمون الغلاف الخلفي:.....10

الدلالات العامة للغلاف الخلفي: 12

خلاصة الغلاف الخلفي:.....12

دراسة عنوان الكتاب:.....12

السيرة الذاتية للمؤلف:.....19

خلاصة الفصل الأول:..... 21

الفصل الثانـــي: الدراسة الداخليـــة للكتـــاب

وصف عام لمضامين الكتاب: 22

تلخيص مضامين الكتاب: 22

تلخيص فصول الكتاب:..... 23

1/ مقدمة الكتاب:.....23

2/ مدخل الكتاب: 24

3/ تلخيص الفصل الأول: "الوضعية".....26

3-1: الوضعية عند مدام دي ستال: Mme De Staël.....28

3-2: الوضعية عند هيبوليت تين: Hippolyte Taine.....29

3-3: الوضعية في النقد العربي:.....30

4/ تلخيص الفصل الثاني: "الماركسية".....31

4-1: أسس النظرية الماركسية:.....33

4-2: نقاد الانعكاس:.....34

جورج لوكاتش: 35

لوسيان غولدمان:.....38

4-3: الانعكاس في النقد العربي:.....41

4-4 مدرسة فرانكفورت: جماعة ألتوسير.....43

5/ تلخيص الفصل الثالث: الأمبريقية ودراسات جمهور الأدب.....45

6/ تلخيص الفصل الرابع: من علم اجتماع النَّص إلى مُحتوى الشَّكل: 51

6-1: ميخائيل باختين: 52

6-2: بيير زيما: 55

6-3: علم اجتماع النَّص في النَّقد العربي المعاصر: 58

6-4: محتوى الشكل: 60

7- خاتـــمة الكتاب: 61

8- النقد والتقييم: 62

8-1: من حيث الموضوع: 63

8-2: من حيث المنهج: 63

8-3: من حيث المصادر والمراجع المعتمدة: 64

8-4 من حيث النتائج: 64

خلاصة الفصل الثاني: 64

خاتـــمة: 66

قائمة المصادر والمراجع: 68

فهرس المـــوضوعات: 71

الـــملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع علم اجتماع الأدب عند الدكتور سيد البحراوي، من خلال عرض أهم القضايا والمفاهيم النقدية التي طرحها في كتابه علم اجتماع الأدب (1992). وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز العلاقة بين الأدب والمجتمع، والكشف عن التصور النقدي الذي اعتمده البحراوي في مقاربة النص الأدبي من منظور سوسيولوجي. كما تسعى إلى توضيح أبرز المفاهيم التي ركز عليها، مثل رؤية العالم ومحتوى الشكل، مع بيان أهمية النقد السوسيولوجي في فهم العمل الأدبي وتحليله.

الكلمات المفتاحية:

علم اجتماع الأدب، سيد البحراوي، النقد السوسيولوجي، رؤية العالم، محتوى الشكل.

Abstract :

This study deals with the sociology of literature to Dr. Sayed El-Bahrawi, through presenting the most important critical issues and concepts discussed in his book The Sociology of Literature. It aims to highlight the relationship between literature and society, and to reveal the critical approach adopted by El-Bahrawi in analyzing the literary text from a sociological perspective. The study also seeks to clarify the major concepts he focused on, such as worldview and the content of form, while showing the importance of sociological criticism in understanding and analyzing literary works.

Keywords :

Sociology of Literature, Sayed El-Bahrawi, Sociological Criticism, Worldview, Content of form.